الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي - ميلة -

المعهد:الآداب واللغات

الميدان:اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

القضايا الاجتماعية في ديوان محمد العيد آل خليفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس نظام جديد
التخصص:الأدب العربي

إعداد الطالبات:

1- بوالبعير نورة
2- ضافري ريمة
3-بن زهرة مريم

إشراف الأستاذ:

عبد الحفيظ بورايو

السنة الجامعية: 2012/2011.

إهداء

إلـى أعـــــز الـــــــناس

إلى التي تستمع إلى آلامي وأهاتي أن أتكلم إلى التي تعرف حزني من نضرات عيوني إليك أنت يانابض القلب ويا عليل شرقى الروح والجروح إليك أنت يا أسمى الكلمات ويا أعظم إنسانة تجلت فيها كل المشاعر والأحاسيس فو الله لو اخدت من عمري وأعطيت ما وافيه حقك شكرا لتعبك .....لخوفك....لمساندتك لي....لتفهمك..لعتابك...فلك كل حبي متبوع بتقديري واحترامي

فمهما اختلف الشكل .....اللون فهي عنوان الجمال و رقيقة الإحساس ومرهفة المشاعر ودفئها أساس بريقها

بغضبها.....بفرحها....بخوفها فهي الأم الحنونة نبع الحنان وقلبها أحلى مكان للعيش بأمان.

***أحبك أمي*عقيلة ***

إلى الذي لا استطيع ذكره دون أن تغمر عيناي بالدموع إلى من لو أن الله سخر لنا سبحانه وتعالى السجود لغيره لكان أول من اسجد له لاشيء سوى لطيبته وشقاءه وتعبه مقابل أن ننعم نحن بالراحة والطمأنينة

إلى أعظم رجل في العالم

يقال أننا لا نختار أبائنا إلا انه واليوم سيدي اقسم لك ألف مرة لو خيرت لاخترتك أنت ....لطيبتك....لعتابك....الدافئ والحنون لخوفك ...أنت أبي وعزي وفخري وسندي

إلى من حملت صورته لي أسمى معاني التضحية معنى أن تعطي دون مقابل معنى الإصرار ...معنى المثابرة للوصول أدامك الله لنا احبك أبي ياشمعة تحترق لتضيء وتنير لنا الدروب

***احبك أبي*نورالدين ***

إلى اللتين شاركتاني الأحزان قبل الأفراح إلى التين حملتا الحلم معي إلى التين تحملتاني.. تحملتا مزاج الحاد.

شكرا لقلقكما ...لحبكما...لخوفكما لأني شعرت فعلا أن لي سند وبأنه لايزال لي دافع للحياة ...وللمضي قدما ...لأزيل اليأس من قلبي ...لأبدا من جديد...لأحقق حلمي و حلمكما منكم استمد قوتي حين افشل و بكم اشد عزيمتي لكي تضعضع أدامكما الله سندا لي و عون أدام الحب و المودة بيننا

***شكرا لكما *ريمة ومريم ***

إلى إخوتي نبيل،بلال لكما مني كل الاحترام و التقدير و أسمى معاني الشكر و العرفان استسمحكم عذرا لأني لطالما جعلتكم تشعرون بالقلق علي شكرا لثقتكم لان ثقتكم كانت أساس اجتهادي

شكرا لخوفكم ،لحرصكم،لقلقكم.....لأنه كان أساس إصراري على النجاح أدامكم الله سندا لي اشد به أزري وأدام بيني وبينكم الألفة والمحبة .

إلى نهادإلى قلبي إلى نصفي الآخر إلى توأم الروح إلى قرة عيناي إلى طبيبتي إلى التي أثقلت كاهلها بهمومي التي تشاركني مشوار حياتي إلى التي تاخد بيدي للنهوض من جديد إلى التي زرعت الأمل في قلبي إلى التي لطالما شعرت بالأمان بالراحة بالاطمئنان بمجرد الحديث إليها إلى التي تسمعني و تفهمني خزانة أسراري إلى أختي وصديقتي ورفيقة دربي وحبيبتي نهاد مافعلته من اجل أعظم من كل كلمات الشكر والعرفان وأسمى معاني الحب والإخلاص أتمنى أن يوفقني الله ويحالفني الحظ لأرد جزء قليلا من فضلك .

شكرا محبوبة قلبي *نهاد*

إلى ابنت عمتي العزيزة مريم التي علمتني معنى الثقة بالنفس وعلمتني معنى الصداقة الحقيقية وان الصداقة الحق تولد و تنمو بالفرق ولاتنطفئ وان الصداقة لا تعرف لغة المسافة شكرا لك لأنكي علمتني معنى أن نتشارك ونتقاسم الأفراح والأحزان مع الآخرين فيكون لي سند وأكون لهم كذلك

إلى ابنة عمتي حنان،إلى كل العائلة من أعمامي و عماتي و أولادهم و بناتهم إلى أخوالي وخالاتي و أولادهم و بناتهم.و إلى كل من يعرفني.

شكرا لكن صديقاتي مريم خديجة حليمة نعيمة على الأيام الجميلة التي قضيناها معا أدام الله الصداقة بيننا

إلى أختي الكبرى أمينة و ابنها المدلل آدم و زوجها منير،إلى أختي الصغرى آسيا

وفي الأخير شكرا لجميع الاساتدة الدين اشرفوا على تدريسي من الطور الابتدائي إلى فترة الدراسة الجامعية لا أقول إلى نهاية مشواري الدراسي لأني أتمنى فعلا ألا تكون هده نهاية بل بادن الله هي البداية إلى مشوار دراسي أخر حافل بالنجاحات ضمن أسرة البحث العلمي تقبلوا مني جميعا فائق الاحترام والتقدير وأسمى معاني وكلمات الشكر والعرفان واستسمحكم عذرا لكل من أخطاة في حقه لكل من خيبت ضنه أعرف أنكم كنتم تنتضرون مني أن أقدم الكثير إلا أني حاليا لا استطيع أن أعدكم بشيء سوى أني سأبدل قصارى جهدي احتاج لتشجيعكم ..ولدعائكم فلا تنسوني بالدعاء.

نورة

خطة البحث:

المقدّمة

المدخل

الفصل الأوّل : **الشعر الاجتماعي و خصائصه.**

1-تعريف الشعر الاجتماعي

2-قضايا الشعر الاجتماعي

3-خصائص الشعر الاجتماعي

الفصل الثّاني : **الشعر الاجتماعي في الأدب الجزائري.**

1-دواعي ظهوره

2-أهم قضايا المجتمع في الشعر الجزائري

3-أشهر شعرائه

الفصل الثالث:**القضايا الاجتماعية في ديوان محمد العيد آل خليفة.**

1-التعريف بالشاعر و بيئته

2-القضايا الاجتماعية في ديوان محمد العيد

الخاتمة.

قائمة المصادر و المراجع

المقدمة:

لعل من الحقائق المؤكدة أن جل الأدب العربي و منه الشعر قام على غرض إنساني واسع ممتد وهو التلاؤم بين الأديب و واقعه الروحي و السياسي والاجتماعي و تنافرهما.

و للجزائر كما للأمم العريقة في المجد والحضارة تراث أدبي و علمي يرتبط حاضرها بماضيها، تبني من خلاله مستقبلها و ذلك للحفاظ على كيانها و شخصيتها و هويتها.فالجزائر على غرار باقي دول العالم العربي نسجت عناكب النسيان خيوطها على جل التراث كما لعبت يد الاستعمار بهذا التراث من خلال إتباعها لسياسة التجهيل و غيرها من الأساليب الإجرامية التي حالت دون بروز هذا التراث الذي ظل حبيس النسيان طيلة قرن و عشرات السنين الشداد.

و بعد مضي محنة الاستعمار بدأ العزم على بعث التراث من جديد و نشره.علما أنه كان هناك ظن من الأدباء العرب في ما قبل الثورة الجزائرية أنه لا يوجد أدباء جزائريين أو أدب جزائري بالمعنى الحقيقي، و نستدل بقول طه حسين حين قال:"أن الاستعمار الفرنسي نال من الكتاب الجزائريين إلى درجة أنهم فقدوا قوميتهم العربية."،فكانت كلمة من القساوة بمكان، كما شعرنا كلما تحدث الأدباء عن الأدب إلا وتناسوا الأدب الجزائري،وغضوا عليه الطرف و كان ذلك يحز في قلوبنا و نرى أنه انتقاص للجزائريين الأبطال.

فالدور الذي لعبه الشعر الجزائري كان له بالغ الأثر في الرقي و النهوض بالأمة الجزائرية من خلال معالجته لقضايا إما أن تكون سياسية أو ثقافية أو اجتماعية،وبحديثنا عن هذه الأخيرة نجد أنها عالجت موضوعات كثيرة دينية و إنسانية و غيرها.فقد كان هذا النوع من الشعر بمثابة الشعلة التي حركت الغافلين وأحيت تلك العواطف النائمة في قلوب الأمة العربية و الإسلامية عامة و الجزائرية خاصة.و أحيانا فيها النخوة و الغيرة،ولا شك أن أصحاب هذا النوع من الشعر كانوا رجالا مصلحين لا شعراء فقط مما أضفى على شعرهم

الصدق و الحب ونفث فيهم روح الجهاد و لا يغيب عنا ما دفعه هؤلاء جراء نضالهم و دفاعهم عن شعبهم من من قمع و تشريد و نفي... ولكن رغم ذلك ظلوا كالجبال الراسبات و لم يزدهم ذلك إلا عزيمة و إصرارا على المضي قدما و أصبحوا في أعين الشعب قدوة و أصبح شعرهم أناشيد تنشد و تردد في ساحات الوغى.

و ما جعلنا نختار هذا الموضوع جملة من الدوافع تتمثل فيما يلي:

- ✓ الميل إلى الأدب الجزائري الذي كان نابعا من قناعتنا،أنه لعب دورا فعالا على المستوى المحلي و الخارجي،ضف إلى ذلك ما أضافه حياة للوطن و الأوطان العربية و نشر العلم بعدما أضحى الجهل مسيطرا على الأمة الجزائرية.
- ✓ السطوع بالأدب الجزائري الذي لم يعتد به كأدب و لنبين أنه أدب خالص و لنضع في حسبان من قالوا أنه لا يوجد أدب جزائري إلى الدور الذي لعبه هذا الأدب في العالم العربي.

و من هذا المنطلق ارتأينا أن يكون موضوع بحثنا عن القضايا الاجتماعية في ديوان محمد العيد آل خليفة،حيث جئنا به لنجعله كنموذج لذلك و كذا لإعطاء صورة واضحة أو كمثال على أن الجزائر تملك شعراء لديهم روح العزيمة و حب الوطن فقد كان شعره يحرك النفوس الخاملة من خلال أفكاره الإصلاحية و هذا و إن دل على شيء فإنما يدل على نبع أصيل لإيمانه .و من أجل هذا كله رأينا أنه من الواجب علينا أن نذكر بهؤلاء الرجال و نسلط الضوء على جوانب من أعمالهم و مجهوداتهم التي التي كانوا يقومون بها في سبيل الوطن و الأمة.إضافة إلى الواجب الملقى على عاتقنا كباحثي علم أن نذكر بجهودهم من أجل إعطائنا لمحة عن الشعر

الجزائري،و من أمثال هؤلاء:صالح خرفي،أبو القاسم سعد الله،عبد الله الركيبي... وغيرهم كثيرون.

وبعد أن رست بنا الأفكار حول القضايا الاجتماعية في ديوان محمد العيد آل خليفة بمساعدة الأستاذ المشرف،معتمدين في بحثنا على المنهج الاجتماعي .

و قد اشتملت هذه الدراسة على:

مدخل ومقدمة و ثلاثة فصول و خاتمة.

ففي الفصل الأول تحدثنا عن الشعر الاجتماعي و القضايا الذي تناولها هذا النوع من الشعر خصائصه،و الفصل الثاني تطرقنا فيه إلى الشعر الاجتماعي في الأدب الجزائري و دوافعه و أهم شعرائه،أما الفصل الثالث فقد كان مخصصا لدراسة الشاعر محمد العيد عبر مراحل حياته و بيئته و تضمن أيضا القضايا الاجتماعية في ديوانه مع شرح بسيط،و ختمنا الدراسة بخاتمة احتوت النتائج التي توصلنا إليها في بحثنا هذا.

و اعتمدنا في بحثنا هذا على مصادر رأيناها مهمة جدا في إثراء الرصيد المعرفي و هي:ديوان محمد العيد آل خليفة و كتاب جميل لأبو القاسم سعد الله عنوانه:شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة،واستعنا أيضا برسالة ماجستير للأستاذ ابراهيم لقان هي المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة.

و مع كل هذا واجهتنا بعض الصعوبات في بحثنا مثل قلة الدراسات حول القضايا الاجتماعية في الجزائر و نقص المصادر و المراجع في مكتبتنا المركزية هذا مما دفعنا للتنقل إلى جامعات أخرى،ولكن بشيء من الصبر و بذل المزيد في الجهد استطعنا تخطي الصعاب.

و يأتي بحثنا هذا كمعالجة بسيطة جدا غير أنها تفسح المجال لغيرنا من الباحثين في هذا الاتجاه من الشعر للكشف عن الحقيقة التي لم نصل إليها،وربما نكون قد وصلنا إلى إنهاء هذا البحث و نتمنى أن يكون لبنة جديدة تضاف إلى سابقاتها في ميدان البحث العلمي.

و في الأخير لا يسعنا إلا أن نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من مد لنا يد العون و لو بكلمة طيبة،وأخص بالذكر الأستاذ المشرف عبد الحفيظ بورايو و الأستاذ عبد الكريم طبيش و الأستاذ ابراهيم لقان اللذان لم يبخلا علينا بالنصح و الإرشاد و الأستاذ سليم بوعجاجة و لا ننسى الأستاذ مرمول صالح الذي كان له الفضل الكبير في مساعدتنا على انجاز هذا البحث من خلال ما قدمه لنا من كتب و معلومات.

المدخل:

«اختلفت آراء الباحثين و النقاد في الباعث على نشأة الأدب أو إنشائه,فمنهم من رده كغيره من الفنون إلى رغبة الإنسان في اللعب الّذي يفرغ طاقة النفس الزائدة . قال فريدريك فون شالرٍ ٍ ٍ ٍ:"إن اللعب تعبير عن الطاقة الفائرة , وإنه أصل كل الفنون". وقال سبنسر:"إن اللعب هو أصل الفنون ,وإنه تعبير غير هادف عن الطاقة الزائدة". و ّذهب كانت إن "الفن سرور أو ارتياح بلا هدف أو متعة خالصة من أي غرض",والجامع بين هؤلاء العلماء هو رد الأدب إلى منبع فردي و نشاط خاص و ملكه ذاتية وربما كان ابن خلدون أقرب إلى الصواب من هؤلاء،إذ رد هذه الملكة الخاصة التي يتباهى بها الأديب إلى أصول اجتماعية . فجعلها ثمرة للثقافة التي يحصلها الكاتب أو الشاعر في حفظه المنثور و المنظوم وتمرسه بأساليب البلغاء , فقلل وهو يتكلم عن الأدب (المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته , وهي الإجادة في فني المنظوم و المنثور على أساليب العرب و مناحيهم،فيجمعون بذلك من كلام العرب ما عساه تحمل الملكة).»[1]

«وفي العصر الحاضر يقف أكثر الدارسين إلى جانب ابن خلدون، فقد أوضح الدكتور علي عبد الواحد وافي النشأة الاجتماعية للغة,فقال:"اللغة ظاهرة

[1]– د.غازي طليمات عرفان الأشقر:الأدب الجاهلي:قضاياه أغراضه أعلامه،فنونه، دار الفكر المعاصر،ط1، بيروت– لبنان،ص19.

اجتماعية , فهي ليست من الأمور التي يصنعها فرد معين أو أفراد معينون , وإنما تخلقها طبيعة الاجتماع , وما تقتضيه هذه الحياة من تعبير عن الخواطر و تبادل للأفكار". و يمكن أن نطلق هذا الحكم على الأدب , لأنه ظاهرة اجتماعية تتمثل فيها الصورة الفنية للغة. و يخضع في نشأته و تطوره وازدهاره أو انحطاطه للواقع الاجتماعي و التاريخي.»[1]

«إن ارتباط الأدب بالمجتمع يجعل له سلطانا على الأفراد, و يجعل تطوره مرهونا بقوانين المجتمع وهو لا يسير طبقا للأهواء والمصادفات, و لا وفقا لإرادة الأفراد, و إنما يخضع في سيره لقوانين ثابتة مطردة . و كل خروج عن نظامه و لو كان [2] عن خطأ أو جهل يلقى من المجتمع مقاومة تكفل رد الأمور نصابها الصحيح و القوى التي تؤثر في الأدب كثيرة, يصعب حصرها إذ تؤثر فيه السياسة والثقافة و الدين وأنظمة الاقتصاد, و الثقافة الأجنبية الوافدة , كما يؤثر فيه رقي الأمة و انحطاطها , غير أن تأثره بهذه العوامل لا يعني أنه منفعل لا فاعل , فكثيرا ما يكون الأدب أحد العوامل البارزة في يقظة الشعب , و كم شعثه بعد الفرقة, و نقل قيمه و مثله العليا من جيل إلى جيل و تكوين رأى عام موحد وكثيرا ما يحرض الأدب الجماهير على رفض الواقع السيء و الثورة عليه, فيفرغ النفوس من الغضب

[1]–د.محمد سعيد فرح و مصطفى خلف عبد الجواد:علم اجتماع الأدب،دار المسيرة للنشر و التوزيع،ط1،عمان،2009،ص151.

و القهر و الكبت و يفجر طاقاتها المبدعة،و يرسم معالم المستقبل.و هكذا لا يقل تأثيره عن تأثره،و لا يكون انفعاله بالحدث أظهر من مشاركته في صنع الحدث.»[1]

«و وضع الأديب في البيئة الاجتماعية و الثقافية استأثر بعناية النقاد الجزائريين في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية على وجه الخصوص و حيث شهدت الجهود تضافرا كثيفا على الصعيدين الاجتماعي و الثقافي لتعميق الوعي بالذات الجزائرية العربية المسلمة و استنهاض الهمم و إعداد بناء الوطن لمهمة التحرير،و استعادة الأمجاد،الضائعة

و السيادة المغتصبة و الاستماتة في الدفاع عن الشخصية الوطنية،ضد كل محاولات المسح و التضليل التي جندت لها الوسائل الاستعمارية المادية منها والمعدنية.

و لم تكن هذه المهمة سهلة يسيرة،نظرا للأوضاع الاجتماعية و الثقافية الصعبة.بل المهلهلة بفعل عشرات السنين من التدمير و التجهيل و الاستعباد»[2]

[1] المرجع نفسه،ص20

[2] عمار بن زايد:النقد الأدبي الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب،1990،ص53

«و كان طبيعيا أن يؤثر هذا الوضع تأثيرا سلبيا على البيئة الاجتماعية و الثقافية و كان طبيعيا أن يتأثر الأدب بهذا الوضع و الأدب كما نعرف ابن البيئة.

و لنعي الأوضاع على حقيقتها و نضع،الأمور في أماكنها، نقسم هذا الفصل إلى قسمين أساسيين القسم الأول خاص بوضع الأديب في البيئة الاجتماعية و الثاني بوضعه في البيئة الثقافية مع ملاحظة تداخل البيئتين و ارتباطهما ببعضهما البعض.

إن البيئة الاجتماعية هي التربة التي ينشأ فيها الأديب،و على غنى و خصوبة هذه التربة تتغلغل جّذوره في الأعماق و تمتد فروعه في الأفاق.فتأتي ثمار أعماله طيبة يانعة مقنعة،إذا توفر للبيئة الاجتماعية الفهم الصحيح لمهمة الأديب و رسالته و الشروط الضرورية على الأقل للتفاعل معه و تقدير جهوده،و السير معه و به نحو الغد الأفضل.أما إذا كانت البيئة الاجتماعية منغلقة جامدة جاحدة فإن ذلك سيعود دون ريب بالأثر السئ على الأديب و الإنتاج الأدبي.»[1]

[1] عمار بن زايد:النقد الأدبي الجزائري الحديث،ص53

«و الحقيقة أننا لا نستطيع أن نزعم أنه بوسعنا أن نعطي الدليل القاطع على بيئة أو بيئات اجتماعية مثالية في تقديم دور الأديب و فهمه،و تشجيعه قي مهمته كل التشجيع،و رعايته كل الرعاية،و التفاعل مع ما يبدعه من أعمال تفاعلا مطلقا،كما أنه ليس في وسعنا كذلك أن نجزم بوجود مجتمعات لا تعطي أدنى اهتمام أو تشجيع لأبنائها المفكرين المبدعين لأننا لو قلنا بذلك فإننا نحكم على تلك المجتمعات بالموت و في هذا الحكم مبالغة لا تخفى على أحد ونحن لا نعدم الأمثلة التي تؤكد اهتمام المجتمعات –و منها البدائية– بأدبها و لكن ذلك الاهتمام يتميز إلى مستويات دنيا لدى المجتمعات المختلفة المغلوبة على أمرها و مستويات عليا لدى المجتمعات المثقفة الواعية و نظرة متفحصة في الأوضاع و الظروف التي كان يعيش فيه المجتمع الجزائري قبل حرب التحرير،تعطينا الإجابة الشافية و المحزنة في الوقت ذاته عما كان يعانيه هذا المجتمع من قهر و اضطهاد و فقر،و حرمان و مرض مما يجعل المجتمع

منشغلا بهموم يومية لا تنتهي و في أثر ذلك يصرف طاقته و يغرق ذاته،و شاء أم أبى يجد نفسه على هامش الاهتمامات الرئيسية التي لا غنى له عنها،و في مقدمتها النشاط الثقافي بصفة عامة و النشاط الأدبي بصفة خاصة لها لهذا الجانب من أهميته قصوى في حياة الأفراد و الجماعات على حد سواء لأنه يرتبط بجذور الروح البشرية و الضمير الإنسان.

و في تعرضنا بالدراسة و التحليل للبيئة الاجتماعية الجزائرية، و تأثيرها في الأدب و الأدباء،لا تهدف إلى إدانة البيئة الاجتماعية أو إدانة الأدب و الأدباء و الانتصار لإحدى الجهتين على حساب الجهة الأخرى و حتى لو حاولنا ذلك فإننا لن نصيب النجاح،و لن يحالفنا الصواب،لأن المسؤولية مشتركة،و التأثير متبادل كما سبق و أشرنا،و لكن الهدف الذي نريد أن نبلغه هو توضيح مدى أهمية و خطورة البيئة الاجتماعية في الحياة الأدبية. »[1]

«و لا شك أن بيئة اجتماعية متخلفة لن تخلق الهجرة،و إنما تنتج آثارا سلبية لا تحفى في الأعمال الإبداعية.إن الوسط الذي نحن فيه كما يقول حمزة بوكوشة"يقي العزائم و يخلق الهزائم

[1] المرجع نفسه،ص54

فالحكم على أدبائنا بالكسل و عدم مراعاة الظروف تكتنفهم فيه شيء من الإعتساف يحدث رد فعل في نفوس الأدباء و الأدباء نفوسهم شفافة فرفقا بالقوارير".إن حمزة بوكوشة يؤمن إيمانا قويا أن التوجيه هو الذي ينقص الأدباء الجزائريين فهم بحاجة إلى من يرشدهم و يدلهم على طريق النجاح و الصواب و يجنبهم العثرات و المزالق كما أنه يؤمن الإيمان الراسخ أن الجزائر لا تخلو من عبقريات تضاهي عبقريات الشرق و الغرب و لكن الأوضاع الاجتماعية البائسة التي يتخبط فيها المجتمع هي التي تجعله غير قادر على رعاية تلك العبقريات بل تجعله أحيانا يغتالها دون وعي أو إرادة بفعل الخناق المضروب عليه من طرف المستعمر الذي يدرك جيدا أن الأدباء مصدر رئيسي من مصادر الخطر لأنهم «[1] حماة القيم الاجتماعية و حماة التمسك باللغة و الدين و الأرض و بالتالي هم قادة الأمة،و محرضوها على النهوض و الثورة،وإنهاء الوجود الأجنبي،و من ثم حاربهم المستعمر محاولا إبعادهم عن العمق الاستراتيجي للجزائر و هو المشرق العربي لتحقيق أحلامه العدوانية الرامية إلي ترويض المجتمع الجزائري و سلخه عن شخصيته و إلحاقه بفرنسا.»[2]

[1] المرجع نفسه،ص55
[2] المرجع نفسه،59

«حقيقة أن المجتمع هو التربة التي تنجب الأدباء، هؤلاء الأدباء عندما يترعرعون و يّدركون الحقائق و يفرزون فرزا ورعيا بين المزيف منها و الأصيل،لا يجوز أن ترهبهم سلطة المجتمع،أو تثنيهم رواسب التربية القائمة على مبدأ (سلم تسلم) عن عزمهم في التغيير و التجديد و التطلع نحو نور الحرية،بل و الصراع من أجل انتزاع ذلك النور حتى لو كان صراعا ضد الآباء أنفسهم،أما و أن يستسلم الأديب للأمر الواقع،و يختار السلامة و الأمان من الأيدي و الألسنة فإنه لن يجد من يتبوع عليه بالحرية.

و يعتبر النعماني الأدباء نسخة هذا المجتمع.فالأديب يكون تابعا للمجتمع و ليس قائدا له،و هذا –طبعا– ما لا تزكيه الحقيقة،و لا يقره تاريخ الآداب البشرية شرقية كانت أو غربية.»[1]

«ويرى الشافعي أن البيئة الاجتماعية تؤثر في الشاعر و تطبعه بطابعها الذي يظهر واضحا في شعره،فهو أذا تربى فى بيئة مثقفة فغنه سينمو متأثرا بتلك البيئة،و أن أشعاره ستكون ترجمانا لها فتأتي مطبوعة صحيحة فيها خيال و إحساس و فيها ملامح شخصية واضحة تحفظ للشاعر مكانته.»[2]

[1]–المرجع نفسه،ص62.

[2]–المرجع نفسه،ص88.

الفصل الأول:الشعر الاجتماعي و خصائصه.

1. تعريف الشعر الاجتماعي.
2. قضايا الشعر الاجتماعي .
3. خصائص الشعر الاجتماعي.

تمهيد:

كانت الحياة قديما تتميز بالبساطة،و لذلك خلت من المشاكل الكبرى التي تعيشها المجتمعات في الوقت الحاضر.مثل مشاكل البطالة و النزوح الريفي،و تحديد مكانة المرأة في المجتمع،و تربية الأبناء،و حصر حقوق العمال...

فحياة الناس في الماضي تعتمد على النشاط الفلاحي ذي الطابع العائلي،و على بعض الحرف و الصناعات الضرورية مثل الحياكة و الدباغة و النجارة...

لهذه العلة لا نجد في الشعر العربي القديم قصائد مطولة تتناول مسائل اجتماعية إلا في القليل النادر.ثم إن الشعر العربي القديم يدور في معظمه في فلك الخلفاء و الأمراء و الوزراء في هيئة مدائح أو مراث،فلم ير الشعراء فائدة في التحدث عن أدواء الناس و مشاكلهم.

1. تعريف الشعر الاجتماعي:

الشعر العربي هو كل شعر يكتب باللغة العربية، بشرط أن يكون موزون مقفى.و كل هذا الكلام ينطبق في جميع أنواع الشعر،و في أي فترة من فترات الشعر العربي:جاهلي أو إسلامي أو أموي أو عباسي أو أندلسي أو حديث.

لذا كان للشعر العربي دور بارز في الحياة الأدبية و الفكرية و السياسية،و هو يتطور حسب تطور الشعوب العربية و الإسلامية،و حسب علاقاتها بالشعوب الأخرى.

و قد برزت في الشعر فنون جديدة متطورة،من حيث المضمون،و من حيث الأسلوب و اللغة،و من حيث الأوزان و القوافي،و ما إليها ،حيث ظهر إلى جانب شعر الوصف،و شعر الأطلال،شعر الغزل العذري،و الشعر السياسي،و الشعر الصوفي،والوطني،و شعر الموشحات،و الشعر المعاصر،و الشعر الاجتماعي الذي سنسلط الضوء عليه.

«ليس من السهل وضع تعريف جامع مانع للشعر الاجتماعي.و السبب في ذلك أن تعريف الأشياء مطلب صعب دائما،و هو أصعب ما يكون في ضروب الإنتاج العقلي،لأن التعريف لا يخلو من التحديد،و العقل البشري لا يخضع بسهولة للحدود و القيود،و لكن هذه الصعوبة لا تمنع من التعرف إلى المحاولات التي بذلها العلماء و النقاد في سبل تعريفه.»[1]

إذا **فالشعر الاجتماعي**:هو الذي يتناول قضايا المجتمع اليومية،كالعدالة الاجتماعية و الفقر و العمل و الأمراض الاجتماعية و المرأة و غيرها من الآفات الخلقية،إضافة إلى الدين و التعليم.و الشعر الاجتماعي يتناول هذه القضايا بشيء من التفصيل فيبرز الداء و يصف الدواء.

[1]–عبد العزيز عتيق:في النقد الأدبي،دار النهضة العربية،لبنان–بيروت،ط1،ص35.

2. قضايا الشعر الاجتماعي :

1) العصر الجاهلي:

ففي العصر الجاهلي وردت لعدد من الشعراء مقطوعات متفرقة تناولت مواضيع لها صلة و ثيقة بحياة الناس الاجتماعية.

الخمر:

كانت الخمر عند العرب و عند غيرهم من الأمم مصدر إلهام و إيحاء في الشعر... والخمرة جزءا من حياة العرب،يقبلون على شربها على اختلاف طبقاتهم دون تحرج يصفونها في شعرهم باعتبارها مظهرا من مظاهر الفتوة و الكرم و السماحة.إلا أن الشعراء العرب تصدوا لها من الخارج فجعلوا يصفون شعاعها و طيبها و كأسها و ما إلى ذلك.و نجد قول الأعشى في هذا الصدد:

«تريك القذى من فوقها و هي فوقه إذا ذاقها من ذاقها و يتمطق»[1]

و يقول أيضا في وصفه للخمر و مدى أهميتها:

نازعتهم قضب الريحان متكئا إلا بهات و إن علوا و إن نهلوا

يسعى بها ذو زجاجات له نطف مقلص أسفل السربال معتقل

[1]–عمر عروة،الشعر العباسي و أبرز اتجاهاته و أعلامه:
ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،ص103.

و في موضع آخر يتلذذ بها و يصفها بالذكاء يقول:

«و كأس شربت على لذة و أخرى تداويت منها بها »[1]

المرأة:

تعددت آراء الشعراء في الجاهلية حول المرأة فهناك من كان يذمها و من كان يتغنى بها و من يكرهها و يفضل تجنبها.

فهذا علقمة بن عبدة يصف تجربته بالنساء،و يكشف عن الرجل الذي تحبه المرأة،فمن الأحسن أن يكون شابا لا شيخا.

«فإن تسألوني في النساء فإنني بصير بأدواء النساء طبيب

إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له في ودهن نصيب

و قال أبو العلاء المعري و الرأي له وحده في وصف النساء بالسم القاتل:

ألا إن النساء حبال غيا بهن يضيع الشرق التليد

إن النساء و يا حين خلقن لنا و كلنا يشتهي سم الرياحين »[2]

و لآخر يصف النساء بالشياطين و يتعوذ بالله من شر الشياطين،و يقول أن النساء هم بلاء في الدنيا:

«إن النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين

فهل أصل البليات التي ظهرت بين البرية في الدنيا و في الدين

[1] عمر عروة،الشعر العباسي و أبرز اتجاهاته وأعلامه،ص104.

[2] عبد الفتاح محمد حسين الدراويش:جواهر الشعر العربي،الأهلية للنشر و التوزيع، ط1،ص532.

و أبو العياء يقول أن النساء كأشجار نبتن مع بعضهن البعض و يصف طباعهن و قال أن النساء تعد بالشر لا بالخير:

إن النساء كأشجار نبتن معا منها المرار و بعض المر مأكول

إن النساء متى ينهين عن خلق فإنه واجب لابد مفعول

و ما وعدتك من شر وفين به و ما و عدتك من خير فممطول »[1]

العصبية القبلية:

و تبنى العصبية القبلية على وحدة الدم و لحمة النسب و لكن القبيلة لم تستطع أن تعيش في معزل عن القبائل الأخرى.وتستمد هذه العصبية القبلية قوتها من شعور الأفراد بأنهم أبناء أسرة واحدة و تقوى هذه العصبية و تشتد في الملمات.

حيث يقول أحد الشعراء في قسوتهم على بعضهم البعض في القبائل:

«لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا »[2]

الثأر:

هو أثر من آثار العصبية و يحدث غالبا نتيجة للحوادث الفردية التي كثيرا ما تجر إلى الواقع بين الجماعات،و الثأر أخطر ظاهرة اجتماعية نشأت بسبب العصبية القبلية،فإذا قتل رجل رجلا من غير قبيلته طالب أولياء المقتول عشيرة القاتل.

و عبر الشعراء الذين يفكرون في قبول الدية و بخاصة عندما يقتل أشراف القبيلة،هذه امرأة من ضبة تحرض قومها على عدم قبول الدية،و تدعوهم ليذيقوهم حد السلاح:

[1]–المرجع السابق،ص533.

[2]–عفيف عبد الرحمان:الشعرالجاهلي،دار جرير للنشر و التوزيع،ط1،2007،ص44.

«ألا لا تأخذوا لبنا ولكن أذيقوا قومهم حد السلاح

فإن لم تثأروا عمرا يزيدا فلا ذرت لبون بني رباح»[1]

و يتمنى شاعر الحماسة لو قبل الحي الموثور المال فدية إذن لساقوا لهم سبيلا مفعما من المال،و لكنهم قوم يرفضونها خوفا من العار،لذلك اختار الدم على اللبن:

و لكن أبى قوم أن يصيب أخوهم رضا العار فاختاروا على اللبن الدما

ظاهرة الجوار:

و قدس المجتمع الجاهلي هذا القانون تقديسا كثيرا فالجار ممتنع دائما في المجتمع القبلي الجاهلي،فافتخر بذلك العربي لأنه أصبح ملاذا يلجأ إليه الخانق،يقول عوف ابن عطية التميمي مصورا ذلك:

و أمنع جاري من المجحفا ت و الجار ممتنع حيث صارا

و أعددت للحروب ملبونة ترد على سائسيها الحمارا

وهجا الشعراء كل من غدر بجاره:»[2]

«يا جار نضلة قد أنى لك أن تسعى بجارك قي بني هدم

متنظمين جوار فضلة يا شاه الوجوه لذلك النظم

و بنوار رواحة ينتظرون إذا نظر الندى بآنف خثم»[3]

الفقر:

---

[1]–المرجع نفسه،ص51.

[2]–المرجع السابق،ص39.

[3]–المرجع نفسه،ص40.

لقد كان الفقر سائدا في المجتمع الجاهلي،فقد وصفه عروة بن الورد قائلا:

ذريني للغني أسعى،فإني رأيت الناس شرهم الفقير

و أبهدهم و أهونهم عليهم و إن أمسى له حسب و خير

و يقضيه الندي،و تزدريه خليلته وينهره الصغير

2) عصر صدر الإسلام:

و في صدر الإسلام نظم الشعراء في شتى الأغراض،و أفصحوا عن آراء موجزة في بعض المسائل ذات الطابع الاجتماعي ومنها:

الخمر:

في هذا العصر نجد موقف الدين الإسلامي من الخمر يجعل العهد الراشدي أشد تمسكا بأهداب الدين،و كان عمر رضي الله عنه يجلد السكارى،و رغم وجود من يشرب الخمر قي البوادي و الحواضر فإنها لم يعد لها ذلك الشأن و نزلت عن عرشها الجاهلي و عزها السابق.

«و لم يبق لها في هذه الفترة ألا حسان بن ثابت الشاعر الذي ظل ينهض بها في شعره يقول و قد جرى في وصفها على طريقة الجاهليين و انسحب على أذيالهم:

و لقد شربت الخمر من حانوتها صهباء صافية كطعم الفلفل

يسعى علي بكأسها متنطف فيعلني منها و لو لم أنهل

إن التي ناولتني فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل»[1]

[1]–المرجع نفسه، ص105.

و صف المعارك:

قال حسان بن ثابت يصف معركة بدر بما فعلته قريش بالمسلمين،ويذكر القتلى الذين ماتوا في هذه المعركة:

«لقد علمت قريش يوم بدر غداة الأسر و القتل الشديد

بأنا حين تستجر العوالي حماة العرب يوم أبى الوليد

قتلنا ابن ربيعة يوم سارا إلينا في مضاعفة الحديد

و فر بها حكيم يوم جالت بنو النجل تخمار كالأسود

و ولت عند ذاك دموع فقر و أسامها الحويرت من بعيد

لقد لاقيتهم فلا و قتلا جهيزا نافدا تحت الوريد

و كان القوم و لو جميعا و لم يلو واعد الحسب التليذ»[1]

وصف حسان معركة بدر وصفا دقيقا يدل على قوتها و شراستها مما أسفر على قتل و أسر العديد من صناديد قريش كأبي الوليد و هو عتبة بن ربيعة الذي قتل هو و ابنه و فر يومها الحارث ابن هشام و قد جاء الشاعر باسمه على صيغة التصفير امحانا منه في هجاته وسط من منزله كما ولدت على أعقابها مجموع نهر (وهي قريش) منهزمة،و لم تعبأ بمجدها و شرفها القديم و لم تكترث بالعار الذي لحقها من جراء هذه الهزيمة النكراء.وذكر كيف تشتبك و تختلط الرماح في المعركة إلى ما هنالك من وصف للمعركة.

و يواصل حسان في وصفه للمعركة في موضع آخر فيقول:

[1]–محمد مهداوي: شعر الغوات أيام الرسول صلى الله عليه و سلم،أغراضه و خصائصه الفنية، ديوان المطبوعات الجامعية،الساحة المركزية ،بن عكنون–الجزائرن2009،ص168.

«تذر العناجيج الحياد بقفزة مر الدموث بمحمد و رجاه

ملأت به الفرجين فارمدت به و نوى أحبته نشر مقام

و بنو أبيه و رهطه في معرث نهر الإله به ذوي الإسلام

طحنتهم و الله ينقد أمرة حرب يشب سعيرها بهزام

الدين و السياسة:

مما لا يحتاج إلى تأكيد إن الإسلام نظام شامل لا يفرق بين الدين و السياسة و انطلاقا من هذا المبدأ وجدنا الشاعر يمزج في أشعاره بين الدين و السياسة و البطولة.فسياسة الدولة في صدر الإسلام كانت تنطلق من المسجد، و كان الرسول صلى الله عليه و سلم القائد و الحاكم و الإمام ،و في الوقت ذاته هو الذي يدم الناس و هو الذي يقود الجيش إلى الغزوة.و كان الإسلام يعمل على أن يكون المسلم يؤدي الفرائض الواجبة عليه و ذلك يظهر في سلوكاته و تصرفاته و شؤونه الدنيوية.و سار معظم الشعر الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم من هذا النمط و الأمثلة كثيرة في هذا الشأن،فهذه قصيدة تنسب لعلي بن أبي طالب قالها يوم بدر منها:

«ألم تر أن الله أبلى ر سوله بلاء عزيز ذي اقتدار و ذي فضل

بما أنزل الكفار دار مذلة فأذاقو أهوانا من النار و من قتل

فأمسى رسول الله قد عز نصره و كان رسول الله أرسل بالعدل

فجاء بفرقل من الله منزل مبينة آياته لذوي العقل

فآمن أقوام فراغت قلوبهم فزادهم ذو العرش خيلا على خيل

و أمكن منهم يوم بدر و رسوله و قوما غضانا فعلهم أحسن الفعل

بأيديهم بيض خفاف عضوا بها و قد حادثوها بالجلاء و بالصقل

نوائح تغني عتبة الغنى و ابنه و شيبة تنعاه و تنعى أبا جهل »[1]

المرأة:

نجد معن بن أوس عارض الذين يبغضون المرأة،و أكد أن فيهن الصالحات مثل الرجال،فقال:

رأيت أناسا يكرهون بناتهن و فيهن –لا تكذب– نساء صوالح

و فيهن،و الأيام تعثر بالفتى نوادب،لا يمللنه و نوائح

غير أن بعض الشعراء تعدوا تناول العيوب البشرية ذات الأثر الضيق على المستوى الاجتماعي إلى فضح التصرفات السيئة التي تصدر عن بعض المسؤولين على شؤون الرعية.فها هو ذا كعب الأشقري يحذر عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل من عماله وولاته،الذين ليسوا مثله في الورع و التقوى:

إن كنت تحفظ ما يليك فإنما عمال أرضك بالبلاد ذئاب

لن يستجيبوا للذي تدعوا له حتى تجلد بالسيوف رقاب

3) العصر الأموي:

الخمر:

و في العهد الأموي يعود الناس إلى دينهم من الخمر و يعود الشعر معها إلى انتعاشه و صار الناس يقبلون على الخمر و اللهو و الغناء و افتتن الشعراء بوصف الراح و مجالسها و تمادي الخلفاء أنفسهم في شربها و عينوا أوقات لتعاطيها .

[1]–المرجع نفسه،ص169.

و نجد الأخطل يحلها المكانة الأولى في شعره و كان إمام وصاف الخمر في العهد الأموي حتى إنه من الصعب أن تفضل قصيدة من الخمر على لاميتها التي يقول فيها:

«تدب دبيبا في العظام كأنه دبيب نمال نقى يتهيل »[1]

فالصورة هنا لا تختلف عن الصورة الجاهلية المادية المسرفة خاصة في تمثيل الشعور الداخلي بمشهد حسي.

و الوليد ابن يزيد أدخل الخمر في شعره و وصفها كثيرا و كررها في عدة مواضع،و من أمثلة ذلك ما يلي:

«أصدع نجي الهموم بالطرب و انعم على الدهر بابنة العنب

من قهوة زانها تقادمها فهي عجوز تعلو على الحقب

أشهى إلى الشرب يوم جلوتها من الفتاة الكريمة النسب

فقد تجلت ورق جوهرها حتى تبدت في منظر عجب

فهيبغير المزاج من شرر و هي لدى المزج سائل الذهب »[2]

«كأنها في زجاجها قبس تذكو ضياء في عين مرتقب »[3]

فالخمر عنده عجور لقدمها،و هي مع ذلك أحلى من العروس الجميلة .

[1]–عمر عروة:الشعر العباسي و أبرز اتجاهاته و أعلامه،
ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2010،ص106.

[2]–المرجع نفسه،ص107.

[3]د.محمد مصطفى هدارة:الشعرفي صدر الإسلام و العصر الأموي،
دار النهضة العربية للطباعة و النشر،بيروت،1990،ص281

1) العصر العباسي:

و قد استمر الشعراء في العصر العباسي ينظمون مقطوعات في القضايا الاجتماعية.

الخمر:

اتسم شعر الخمر عند أبي نواس بمواقف غريبة عن روح البيئة العربية فإذا كان العربي في العهد الجاهلي يشعر عندما يحتسي الخمر بنشوة تصيبه و يشعر بأن في تلك النشوة ما يدفعه إلى الزهو.

و من يتأمل في شعر أبي نواس الخمري يجده يتميز عن شعر الوليد بن يزيد بتلك النزعة الغيبية و ذلك حين يحدق بالوجود و بأشيائه فيستولي علسه اللبس و الغموض.

يقول في ذلك:

«دق معنى الخمر حتى هو في رجم الظنون

كلما حاولها الناظر من طرف الجفون

رجع الطرف حسيرا عن خيال الزرجون

فمتى تدرك مالا يتحرى بالعيون»[1]

و يقول أبي نواس في حبه الكبير الذي وصل إلى درجات الحب ألا وهي العبادة فهو مستعد ليعبد الخمر:

[1]عمر عروة:الشعر العباسي و أبرز اتجاهاته و أعلامه،
ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2010،ص108

لو عبد الخمر قبلنا أحد ممن مضى عبدناها

و يقول أيضا واصفا الخمر بالنور:

جاءت كروح لم يقم جوهر لطفا به أو يحصه نور

أيضا يحبذ إعطاء الخمر و وصفها بأحسن الأسماء:

أثن على الخمر بآلائها و سمها أحسن أسمائها

و هكذا تصبح الخمر جوهرا لطيفا كجوهر الأشياء التي تدل على حقائق و ماهياتها.

و قال أبو نواس في موضع آخر يصف انتسابه للخمرة حتى يموت:

«أنا ابن الخمرة ما لي عن غداها إلى وقت المنية من فطام»[1]

تنكر الأيام:

كان بعض الشعراء يتمتعون بقدرة الغوص إلى خفايا المجتمع بفئاته المختلفة.وقد صدر لهم شعر متنوع،فيه وصف دقيق لنماذج بشرية مذمومة كالبخلاء و الجبناء و الطفيليين،على منوال قول ابن الرومي يصف تنكر الأيام لأهل المعالي و محاباتها للسفلة:

نحن أحياء على الأرض،وقد خسف الدهر بنا،ثم خسف

أصبح السافل منا عاليا و هوى أهل المعالي و الشرف

يسفل الناس و يعلو معشر قارفوا الإقراف من كل طرف

و لعمري،لو تأملناهم، ما علوا،و لكن طفوا مثل الجيف

النفاق:

[1]–عبد الفتاح نافع:الشعر العباسي قضايا و ظواهر،دار جرير للنشر،ط1،2008،ص74.

يقول سلم ابن عمروا الخاسر يتهم أبا العتاهية بالنفاق في زهده و تقشفه:

ما أقبح التزهيد من واعظ يزهد الناس ولا يزهد

لو كان في تزهيده صادقا أضحي وأمسى بيته المسجد

2) العصر الأندلسي:

الخمر:

كان الشعراء الأندلسيون يسرفون في و صف مجالس القصف و المجون و الطرب و الشراب، والشعراء في المشرق أسرفوا في القول في الخمر، و لكن عامر بن شهيد يفوقهم في إسرافه، بات ليلة في كنيسة في قرطبة شاربا،فلما أصبح قال هذه الأبيات:

«و لرب حان قد شممت بديرة خمر الصبا مزجت بصرف عصيرة

في فتية جعلوا السرور شعارهم متصاغرين تخشعا لكبيره

و القص مما شاء طول مقامنا يدعو يعود حولنا بزبوره

يهدي لنا بالراح كل مصغر كالخشف خفره التماس حفيره

يتناول الظرفاء فيه و شربهم لسلافهو الأكل من خنزيره»[1]

و يقول أبو الحجاج يوسف ابن عتبة الإشبيلي في خاتمة موشح له،يصور شرب الخمر و الصباح يطل علي الطبيعة:

«فقم نباركها للإصطباح

[1]–عيسى خليل محسن:أمراء الشعر الأندلسي،دار جرير للنشر و التوزيع،ط1،2007،ص128.

و الشهب تنثر من خيط الصباح

و القضب ترقص في أيدي الربا

على غناء الحمام و الكأس ذات ابتسام

و الظلام قتيل الصبح دامي الحسام»[1]

المرأة:

الإنسان مكرم بشطريه الذكر و الأنثى في كتاب الله عزوجل و المرأة مخلوق كرمه الله تعالى،فمن أبرز مظاهر هذا التكريم حق الحياة،و هو أقدس ما متع الله بن الإنسان قال تعالى:«**من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا لغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا**»[2]

و قد أولت الأسرة الأندلسية اهتماما بالبيت مند اليوم الأول من ولادتها فمن الاهتمام:يطلق عليها اسم إحدى شهيرات الإسلام مع كنية تنادى بها مثل:أم كلثوم أم الحكم أم...ألخ.

و يطلقون على البنات أسماء مستمدة من أسماء الزهور.فقد كان للمنصور بن أبي عمر ثلاث بنات سماهن:بهارا–نرجسا–بنفسجا، و يحرصون على تنشئتهن على الصلاح و مكارم الأخلاق منذ نعومة أظافرهن،حتى تنتقل إلى بيت زوجها و تكون معه في ود و صفاء فلا تدم عشرته.يقول الشاعر ابن حمديس عن إحدى بناته:

«فيا غرست للأجر كنت نقلتها إلى كنفي صونا و ألحفتها ظلي

[1]–المرجع السابق ص131.

[2]–سورة المائدة،الآية32.

و أنكحتها من بعد صدق حمدته كريما فلم تذمم معاشرة البعل»[1]

سوء الأحوال الاقتصادية:

يقول شهاب الدين الأعرج واصفا تردي حالة الناس الاقتصادية:

وكيف يروم الرزق في مصر عاقل ومن دونه الأتراك بالسيف والترس

و قد جمعته القبط من كل وجهة لأنفسهم بالربع و الثمن والخمس

فللترك و السلطان ثلث خراجها و للقبط نصف و الخلائق في السدس

3) العصر الحديث:

و في العصر الحديث أصبح نظم الشعر في القضايا الاجتماعية أمرا اعتياديا.بل إن من الشعراء من جاء معظم شعره اجتماعيا.و قد تناول الشعراء هذه القضايا الاجتماعية بدافع إصلاحي،فهم يرغبون في الفضائل و ينفرون من الرذائل.

الطفولة:

قال أبو القاسم الشابي في هذا الشأن واصفا الطفولة و براءتها و اعتبارها أحسن مراحل الحياة في هذه المرحلة لا يهمه شيء إلا اللعب :

«لله ما أحلى الطفو لة !إنها حلم الحياة

عهد كمعسول الرؤى ما بين أجنة السبات

[1]–محمد صبحي أبو حسني:صورة المرأة في الأدب الأندلسي–في عصر الطوائف و المرابطين–، عالم الكتب الحديث،ط2،2005،ص26.

ترنوا إلى الدنيا و ما فيها بهن باسمة

و تسير في عدوا توا ديها بنفس حالمة

إن الطفولة تهت ز في قلب الربيع

و يانة من من ريق الأ نداء في الفجر الوديع

غنت لها الدنيا أغا ني حبها و حبورها

فتأودت نشري بأح لام الحياة و نورها

إن الطفولة دقبة شعرية بشعورها

و دموعها،و سرورها و طموحها،و غرورها

لم تعش في دنيا الكآ بة،و التعاسة و العذاب

فترى على أضوائها ما في الحقيقة من كذاب»[1]

الخمريات:

يقول حافظ إبراهيم في هذا الصدد يذمم الخمر و يحث على الابتعاد عنها لأنها حرام و هي مذكورة في القرآن و في هذا العصر نجد تفطن الشعراء بترك الخمر لأنها كانت في الجاهلية لها مكانة مرموقة :

«هذا الظلام أثار كامن دائي يا ساقيي علي بالصهباء

بالكأس أو بالطاس أو بإثنيهما أو بالدنان فإن فيه شفالي

[1]–ديوان أبو القاسم الشابي:قدم له شرحه:أحمد حسن سبح،دار الكتب العلمية منشورات محمد علي بيضون،بيروت لبنان،ط4،2005،ص41.

مشمولة لولا التقى لعجبت من تحريمها و الذنب للقدماء

قربوا الصلاة و هم سكارة بعدما نزل الكتاب بحكمة و جلاء

يا زوجة ابن المزن يا أخت الهنا يا ضرة الأحزان في الأحشاء

يا طب جالينوس في أنواعه مالي أراك كثيرة الأعداء

غصروك من خدي سهيل خلسة ثم اختبأت بمهجة الظلماء

فلبث فيها قبل نوح حقبة وحدا ولتك أنامل الأناء

حتى أتاح الله أن تتجملي بيد الكريم و راحة الأدباء»[1]

اللغة العربية:

نظرا لما تحمله اللغة العربية من سمة عالية،و صفها أحد الشعراء بأنها الشيء الأهم في هذه الحياة و هي تكون الإنسان و تجمل عقله.

«رجعي لنفسي فاتهمت حصاتي و ناديت قومي فاحتسبت حياتي

رموني بعقم في الشباب و ليتني عقمت قلم أجزع لفول عداتي

و لدت و لما لم أجد لعرائسي رجالا و أكفاء وأدت بناتي»[2]

الأطفال:

هنا نجد أحد الشعراء يتحصر لانقضاء مرحلة الطفولة لأنها لن تعود يوما.

«شبحا أرى أم ذلك طيف و خيال لا،بل فتاة بالعراء حيالي

[1]–ديوان حافظ ابراهيم،دار صادر ج1،بيروت،ط1،1989،ص193.

[2]–المرجع،نفسه ،ص209.

أمست بدرجة الخطوب فيما لها راع هناك ما لها حين والي

حسرى؟تكاد تعيد حكمة ليلها نارا بأنات ذكين طوال

ما خطبها .عجبا و ما خطبي بها؟ ما لي أشاطرها الوجيعة مالي؟

دانيتها و لصوتها في مسمعي وقع النبال عطفت إثر نبال

و سألتها منأنت؟و هي كأنها رسم على طلل من الأطلال

فتململت جزعا و قالت:حامل لم تدر طعم الغمض منذ ليالي

قد مات والدها و مات أمها و مضى الحمام بعمها و الخال

إلى هنا حبس الحياء لسانها و جرى البكاء بدمعها الهطال

فعلمت ما تخفي الفتاة و إنما يحنو على أمثالها أمثالي

و وقفت أنظرها تأتي عابد في هيكل ير نوالي تمثال

و رأيت آيات الجمال تكفلت بزوالهن فوادح الأثقال»[1]

ذكرى المولد النبوي:

قال أحمد شوقي واصفا مولد خير الأنام و مدى حبه له وأنه لن ينساه أبدا،و دائما يتذكر ذكرى مولده:

«سلوا قلبي غداة سلا و تابا لعل على الجمال له عتابا

و يسأل في الحوادث ذو صواب فهل ترك الجمال له صوابا؟

و كنت إذا سألت القلب يوما تول الجمع عن قلبي الجوابا

[1]–المرجع نفسه،ص225.

و لي بين الضلوع دم و لحم هما الراحي الذي تكل الشبابا

تسربقي الدموع فقلت و لي وصفق في الضلوع فقلت نابا

و لو ذلقت قلوب من حديد لما حملت كما حمل العذابا

و أحباب سقيت بهم سلافا و كان الوصل من قصر حبابا

و نادمنا الشباب على بساط من الذات مختاف شرابا

فكل بساط عيشى سوف يطوى و إن طال الزمان به و طابا

كان القلب بعدهم غريب و إذا عادته ذكرى الأهل ذانا»[1]

التكبر و التعالي:

يقول إيليا أبو ماضي يستنكر تكبر المتكبرين و تعالي المتعالين:

نسي الطين ساعة أنه طي ن حقير فصال تيها و عربد

و كسا الخز جسمه فتباهى و حوى المال كيسه فتمرد

يا أخي لا تمل بوجهك عني ما أنا فحمة،ولا أنت فرقد

أنت في البردة الموشاة مثلي في كسائي الرديم تشقى و تسعد

[1]–ديوان أحمد شوقي،دار صادر.ج01،بيروت،ص58.

3. خصائص الشعر الاجتماعي:

الشعر الاجتماعي شعر هادف و يرمي إلى إصلاح الأوضاع الاجتماعية السيئة عن طريق تشخيص الداء،و تحديد سببه،و وصف دوائه.و يلجأ فيه الشعراء إلى أسلوب الترغيب و التنفير،فهم يرغبون شعوبهم فيما يسهم في ترقيتها و تقدمها،وينفرونها من الآفات والأوضاع التي تفوض دعائم نهضتها.كمايلفتون الانتباه إلى ما أحرزته بعض الشعوب المتقدمة في المجال الاجتماعي.

و من خصائصه:

- استعمال اللغة الواضحة المؤثرة و مخاطبة العقول و العواطف.
- اعتماد الحجة البائنة أو الحكمة البليغة.
- و قد ظهر النثر الاجتماعي في القصة و المسرحية و الخطبة و المقالة و الرسالة...
- أما الشعر الاجتماعي فتقسمه ضروب متعددة منها:

✓ الشعر الاجتماعي التقريري: و يعتمد على تصوير الواقع الاجتماعي عن طريق تبيين العيوب و الأدواء و وصف العلاج.

✓ الشعر الاجتماعي غير المباشر:و يتناول علاج مشاكل اجتماعية بالرمز و الإشارة.

✓ الشعر الاجتماعي الثوري:و يدعو إلى الثورة ضد الفقر والعوز.

و من أشهر الأدباء الذين تناولوا الواقع الاجتماعي :

- عباس محمود العقاد–المنفلوطي–إيليا أبو ماضي–الدكتور أحمد أمين–معروف الرصافي–جميل الزهاوي–حافظ ابراهيم–أحمد شوقي–خليل مطران– محمد العيد آل خليفة و

- غيرهم،و هؤلاء في مؤلفاتهم كثيرا ما اعتمدوا الأسلوب المباشر في نقد بعض الأخلاق السلبية في المجتمعات العربية.

الفصل الثاني:الشعر الاجتماعي في الأدب الجزائري.

- **دواعي ظهوره.**
- **أهم قضايا المجتمع في الشعر الجزائري.**
- **أشهر شعرائه.**

- **دواعي ظهوره:**

من بين الدوافع التي أدت إلى ظهور الشعر الاجتماعي الجزائري هي الحالة الاجتماعية التي آل إليها المجتمع الجزائري جراء تعرضه للاستعمار إذ كانت الخطة الاستعمارية تعمل على إبقاء النظام القبلي و تنمية الروح العنصرية و الطائفية كما كانت تعمل على تسليط المشعوذين من رجال الدين على عقل الشعب البسيط.

«و قد جاء في جريدة الشريعة أنه ألف و سبع مئة مسلم يرتدون عن دينهم الحنيف و يعتنقون النصرانية الكاثوليكية.فالواقع الذي لا شك فيه هو أنه ليس في هؤلاء المنتصرين ولا واحد قد ترك الإسلام بملء إرادته طائعا مختارا لكن حملتهم على التنصر عوامل أخرى غير الطواعية و الاختيار و هي ثلاثة أسباب لا رابع لهما:أما السبب الأول فهو الفقر و الثاني هو الجهل و الثالث فهو العجز أو الضعف أو القصور.ومن هذه الأسباب مجتمعة جاء تناكل المصائب و الويلات هؤلاء المرتدون لم يتركوا دينهم حبا بالنصرانية و لكنهم تنصروا ضعفا و جهلا أو حبا في الخبز».[1]

«و الخطة السابقة نجحت مدة،و لكن الحركات الوطنية سرعان ما قضت عليها . فعمل السياسيون على تجميع الشعب و توجيهه وجهة واحدة و عمل المصلحون للقضاء على الشعوذة و التجارة بالعقول و العواطف،كما ساعدت الآلام المشتركة على تقوية الإحساس بالوحدة و بغض الاضطهاد بكافة ألوانه.

و في جحيم الاحتلال عانى الشعب كثيرا من الأمراض و الفقر و حلت به النكبات الجسام كالجوائع و المجاعات المبيدة،و زاد من حدة هذه النكبات و وقعها تجريد الشعب

[1]–جريدة الشريعة النبوية المحمدية،دار الغرب الإسلامي،بيروت،عدد6.

أملاكه و أرض و ترك أبنائه نهب القضاء يعملون أجراء، أو ينتظرون مصيرهم المظلم تحت رحمة البؤس و البطالة».[1]

«إ ن السياسة الفرنسية شملت بجورها و عنصريتها المتطرفة كافة الأوضاع الاجتماعية،تمثلت في حرمان الجزائريين من الثقافة و اكتساب الخبرات العلمية و المهنية،مما أدي إلى إبعادهم عن الميادين السابقة و حرمانهم من فوائدها المادية وانعكاساتها الفكرية،و فرض الجمود و التأخر على أساليب حياتهم و بالإضافة إلى ذلك فإن المعمرين سيطروا على الوظائف العمومية و المهن الحرة و احتكروا التجارة و الصناعة و استولوا على الأراضي الزراعية و المناجم و كل مصادر الثروة.»[2]

«و هذا اللون من الحياة القائمة أدى إلى الهجرة من الجزائر،فهاجرت أسر بأكملها إلى الشرق،و رحل الشباب و الكهول يلتمسون الرزق في فرنسا ذاتها حيث المصانع و المعامل و حيث لا يشعرون بالغربة التي يشعرون بها في وطنهم.و كاد نظام الأسرة المحافظ يفقد تماسكه حين غزا المبشرون الفرنسيون القرى الجزائرية و الأحراش يقيمون فيها الملاجئ و المستشفيات،و يتعهدون اليتامى و الأطفال بالتربية الدينية التي تخالف تعاليم أسرها المتوارثة. كذلك تهدد هذا النظام المحافظ حين أخذ أولئك المهاجرين إلى فرنسا ليتزوجوا من فرنسيات .و لولا وجود الوعي السياسي و الثقافي لأدى هذا التخطيط الاستعماري إلى انحلال الأسرة العربية في الجزائر و تكوين مجتمع لا جذور له و لا تاريخ».[3]

«و قد أدت السياسة الاقتصادية و الاجتماعية السابقة إلى ظهور مشكل البطالة منذ القرن 19 و ظل قائما إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية و تزايدت أعداد الفقراء و

---

[1]–أبو القاسم سعد الله:محمد العيد رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث،دار المعارف،مصر،1919،ط2. ،ص75.

[2]–أحمد شرفي الرفاعي :الشعر الوطني الجزائري،دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع،الجزائر،2009،ص42.

[3]–أبو القاسم سعد الله:محمد العيد،ص76.

المهاجرين إلى العمل في أوروبا كما تزايدت آلامهم بتزايد الهجرة،و الذي يتصل بالحياة الاجتماعية و يؤثر فيها بصورة قوية .فالمهاجرون دفعهم الفقر و الاضطهاد إلى البحث عن مصدر الرزق خارج وطنهم بعد نهب ثرواتهم و الإستلاء على أراضيهم و تعرضهم للظلم و التهميش.»[1]

«و مما يتصل بهذه الخطة استيلاء السلطات الفرنسية على جميع المساجد الإسلامية و أوقافها،و كانت الأولى إلى جانب كونها أماكن مقدسة للعبادة،تؤدي دور الجامعات قيالتعليم و حفظ اللغة و الدين و نشر الوعي الأخلاقي.أما الثانية فقد كانت مصدر رزق عظيم للفقراء و المحتاجين من أبناء الشعب،و لكن السلطات تعدت حقوق القوانين و النظم الإسلامية و جعلت كل هذه المنشآت و الموارد و الموارد من أملاك الدولة على عكس موقفها مع الكنيسة.و قد حز هذا في نفوس المسلمين جميعا فقاوموه بكل إمكانياتهم،و حين عجزوا عن تحقيق رغبتهم شرعوا في تأسيس المساجد الجديدة التي كانت تسمى مساجد الشعب أو الحرة فرقا بينها وبين المساجد التي استولت عليها الحكومة و كذلك حبسوا على هذه المساجد أوقافا تخصها و رصدوا لها الأموال و العقار مما جعلها تؤدي دورها الديني و الثقافي في البلاد.

و الظاهرة البارزة في المجتمع الجزائري أنه مجتمع بلا طبقات أو ألقاب يشعر أفرادها جميعا بالمساواة المطلقة، فالفلاح و العامل و المثقف يجلسون إلى مائدة واحدة،و يتخاطبون بلهجة واحدة و يرتادون أماكن تكاد أن تكون واحدة.

و هذا في الواقع ليس نظاما سنوه لأنفسهم عن عقيدة سياسية أو دراسة موضوعية اجتماعية،و لكنه نظام جاء نتيجة لسياسة الاحتلال التي ترمي إلى جعل المحتل هو السيد الوحيد،أما الآخرون فقد خلقوا ليخدموه و يرفعوا عنه.

[1]–أحمد شرفي الرفاعي :الشعر الوطني الجزائري،ص76.

و الحركات الاجتماعية التي ظهرت في الجزائر كان يقضي عليها سريعا لأنها في الأغلب صورها تهدد وجود المحتل بالزوال،فلا نقابات وطنية و لا شركات قومية لإدارة الاقتصاد في البلاد ،و لا جمعيات نسائية لتنظيم الأسر و نشر الوعي،و لا مؤسسات للخدمة الوطنية علي أساس وطني سليم،اللهم إلا بعض الجمعيات التي كانت تطلق على نفسها (الجمعيات الخيرية) أو (مجالس الصدفة)،و هي أسماء تشعر الفرد بانحطاطه و قصوره على المستوى الإنساني الرقيع بدل أن نأخذ بيده إلى الحياة الكريمة.»[1]

«و من الجمعيات التي أدت خدمات مشكورة إلى الثقافة الوطنية (جمعية الشبيبة الإسلامية)،و هي التي كان محمد العيد مديرا لمدرستها العربية حينا من الدهر،و قد ذكرها بعض رجالها في شعره في عدة مناسبات،و ظهرت كذلك عدة محاولات لتحرير المرأة متأثرة بالدعوات التي كانت تروج في الشرق العربي و لكن هذه المحاولات باءت بالفشل إذ كان المجتمع الجزائري المحافظ إلى درجة التحرر،لم يسمح بوجود أفكار من هذا النوع،و بذلك بقيت المرأة العربية في الجزائر لا تخرج إلا قليلا و لا تنتخب ولا تتعلم إلا في حدود ضيقة جدا،و لم تحررها من أسر هذه التقاليد إلا الثورة حيث أصبحت عنصرا فعالا في المعركة الوطنية و لمحمد العيد رأي في مشكلة السفور و الحجاب و تطوير المرأة.

كما كان المجتمع من ناحية أخرى يعاني أزمة الشك في قدرته على الالتقاء على هدف واحد بعد أن فرقته الخرافات و الشعوذة و بعد أن مزقته السياسة و جعلت منه بددا من الأفكار و الأسر الأفراد،وقد تطورت هذه الأزمة حسب مراحل الكفاح الوطني فاكتسبت أحيانا قوة الصراع و ظلت أحيانا أخرى تدور في دوامة رهيبة حول ذاته.ولكنها

[1]–المرجع نفسه،ص76.

على كل حال استطاعت أن تشق طريقها»[1]« لتصبح قمة شعورية هادفة و طاقة حيوية بناءة تبشر بغد مشرق سعيد لمجتمع قوي متماسك.

و محمد العيد الذي فرج بهذه الأزمة إلى الشعب،و الذي تربى في أحضان الشعب منذ الطفولة،استطاع بحق أن يكون لسان هذا المجتمع الناطق و قلبه النابض،فتحدث عنه في هجراته و تشرده و إقامته الذليلة و قلقه و ضياعه،و صور كفاح الشعب و مواقفه البطولية عبر التاريخ،و تحدث مآسيه و منشآته،و جسم عواطفه و أمانيه في الحرية و الحياة الشريفة كما ضمن شعره أكثر المشاعر الوطنية التي كانت تنبض بها قلوب الآلاف من أبناء الشعب.و قد أصاب محمد العيد في أغلب الأحيان و أخطأ التوفيق أحيانا،و لكنه على أية حال كان مرآة لفترة غير قصيرة من حياة الشعب و صورة حية لكفاحه و تطوره و نكباته،وانتفاضاته من أجل المحافظة على قومية و مقدساته و الوصول إلى مستوى إنساني رفيع.»[2]

[1]–المرجع نفسه،ص77.

[2]–المرجع نفسه،ص78.

- **أهم قضايا المجتمع في الشعر الجزائري:**

«يرتبط الشاعر الجديد بأحداث عصره و قضاياه لا ارتباط المتفرج الذي يصف ما يناهد و ينفعل بما يصف و إنما هو يعيش تلك الأحداث و هو صاحب تلك القضايا و شعرنا القديم يتجه إلى تسجيل و المشاعر و ليس امتدادا وراءها،أما الشعر الجديد فمحاولة لاستكمال لا مجرد الانفعال بها.»[1]

❖ **الخمر:**

رأى الطيب العقبي أن شروحا كثيرة أصابت المجتمع تحتاج إلى الإصلاح،و من جملة هذه الشروحات ما لحق المجتمع من آفات و أمراض جماعية،فكتب عن شارب الخمر و ما ينتج عن شارب الخمر و ما ينجم عن شربه ذاك من أمراض تمس الشارب نفسه:

«شر الورى من عاش طول حياته في الخمر منهمكا و في لذاته

لا ير عوى عن غيبة و ضلالة إذ انتشى فإلى الشقاء بذاته»[2]

❖ **الدين:**

كما تفشى في المجتمع التدين الكاذب و التظاهر بالتقوى مع تعاطي أشياء لا علاقة لها بالدين بل تتنافى مع عباداته.فالجمع بين تسبيح الله سبحانه و التدخين في نفس الوقت شيء غير معقول على الإطلاق،فشتان بين هذا و ذاك فقال العقبي:

«جعلوا المسابح في الأصابع آلة للصيد و الدخان في الأفواه

يا نساء ما اعتقدوا و ساء صيغهم خانوا العباد و حكم شيء الله»[1]

---

[1]–د.عزالديناسماعيل:الشعر العربي المعاصر،قضاياه و ظواهره الفنية والمعنوية دار العودة و دار الثقافة،ط1،بيروت،1981،ص13.

[2]–د.كمالعجالي:الفكر الإصلاحي في الجزائر،صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية،2007،ص64.

❖ **التبرج و السفور:**

و قد انتشرت ظاهرة جديدة على المجتمع الجزائري متمثلة في التبرج و السفور،و قد سرت هذه الظاهرة من الأسر الأوروبية إلى بعض الأسر الجزائرية فقال العقبي في هذه القضية:

«حيثما تلتفت تجد قمرا يز هو و شمسا بديعة الإشراف

و جميلا تلا جميلا و معشو قا غدا في جماعة العشاق

هكذا الجزائر كلها فانظر فاتنات و فاتن في الزقاق»[2]

❖ **الجهل و العلم:**

إن الأمية المتفشية في الجزائر أوائل هذا القرن سببها الاحتلال الفرنسي.و هذا قول السائح في هذا الشأن:

«قوم يرون المن صابا علقما و يرون طعم الصبر أطيب زاد

و يرون عار الجهل أشرف خطة يختال في أثوابها التهادي

علمتهم بالعلم كل فضيلة و دعوتهم من حاضر أو باد

فوجدت في الأرواح موتا كامنا و علمت أني صارخ في واد

و رأيت أشباحا تقل عمائما و نظرت أجساما بدون فؤاد

فعلمت أني ما ظفرت بطائل و لغير أحياء ظللت أنادي

---

[1]–د.كمال لعجالي:الفكر الإصلاحي في الجزائر، ص65.

[2]–المرجع نفسه،ص72.

فيئست يأس مودع الأموات في.. ضيق القبور و ظلمة الألحاد

و رفعت طرفي للذي فطر السما و مددت كفي للرحيم الهادي»[1]

و يقول مبارك الميلي و يندد بترك الجهل و التهافت على التعلم لأن العلم ترتفع قيمة المرء و تصبح له مكانة في المجتمع الذي يعيش فيه أو مع شعوب أخرى:

«متى نتحامى الجهل نبغي معارفا نشيد بها فخرا ننال بها السبلا

ألا هل لبيت يرعري عن جهلة فيبين على ذي اللسان بألف الجهلا»[2]

«بالعلم و الآداب و الأخلاق تسمو الشعوب إلى المقام الراقي

و تنال بالأعمال أقصى غاية و تبذ كل منافس سباق»[3]

❖ **الفقر:**

ليس الجهل وحده هو الذي أصاب المجتمع الجزائري،بل الفقر أيضا حل بالشعب الجزائري ،حيث يقول موسى الأحمدي:

«فيا أيها الساري على المال كالبا فحسبك ما يطفي الطوى يا أخي مهلا

مما لك تخشى الفقر الجيب مفعم و لا تخشى و الأفكار مقوية جهلا

أراك تداوي الجسم أن مسك الضنى و هلا تداوي الفكر من دائه جعلا»[4]

❖ **صراع مع الدهر:**

---

[1]صالح خرفي:شعر المقاومة الجزائرية،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،سلسلة الدراسات الكبرى، الجزائر ،مطابع الشروق،بيروت،ص225.

[2]محمد صالح الجابري:الأدب الجزائري المعاصر ،دار الجيل،ط1،بيروت–لبنانن2005،ص44.

[3]–ديوان الشهيد،الربيع بوشامة،جمع و تقديم:جمالقنان،دار هرمة للطباعة و النشر ،الجزائرن2010،ص111

[4]–المرجع السابق،ص233.

إن انصراف شعرائنا إلى مهاجمة الدهر و تحميله تبعات ما يقاسيه الشعر الجزائري من ويلات تجسيم العجز الموثور عن الأخذ بثأره من العدو المباشر،إن الدهر الزمن الحياة و القدر لا تحمل وراءها إلا ملهى واحد هو المستعمر.

قال محمد السعيد الزاهري يتحصر لما يفعله الدهر بالشعوب و لكنه يؤكد على التمسك بعادات الأولين:

«جدك أن الدهر يا أم نائل يعود على الأحرار يوما بنائل؟

أم الدهر لا ينفك عوما على امرئ و لوع بإدراك العلا و الفضائل

يحاول أن يبني فخارا له على بقايا فخار للجدود الأوائل

و من همه إحياء مجد جدوده فلا ريب معدود أبر السلائل

و قد زاد في همي لحاظ فواعل فويلاه من تلك اللحاظ الفواعل

يقاتلني في صف دهر معاند فوا رحمتاه من أشد مقاتل»[1]

❖ البدع و الشعوذة و الخرافة:

«تحدث محمد السعيد الزاهري عن انتشارها في المجتمع الجزائري،و مدى سيطرة المشعوذين على البسطاء وجعلهم وسيلة لكسب المال فقال:

كانوا طوائف شتى،كل طائفة تطيع شيخا لها في كل ما زعما

إن قال:إني(ولي) صدقوه و إن هو ادعى الغيب،قالو إنه أحكم الحكما

و إن تعلم بعض الشيء تهجية قليلة هتفوا يا أعلم العلما

[1]–المرجع نفسه ،ص140.

و إن هو ارتكب فاحشة فاضحة فلا محالة،معذور وقد أثما »[1]

❖ **الأمراض و المعانات:**

ويتحدث أبو اليقظان عن معانات وطنه و الأمراض التي تفتك بمجتمعه مادية و معنوية فيقول:

«إذا ما رمت ترويض النفوس و إيقاظ الشعور لدى الرؤوس

و خدمة شعبنا المنكود حظا بما يحميه من ضر و بؤس

فسافر و أمر لأصحاب جمعا بشد الرحل في نيل النفيس

و سر في الكون إن الكون سفر يطالعه الجليس مع الجليس

رحلنا رحلة ألقت علينا دروسا في دروس،في دروس

رأينا الناس شكالا فمنهم ثعالب، بل ذئاب في لبوس

و منهم بائعو الدين الشريف مع الأوطان بالثمن البخيس

و لكن بين هؤلاء قوم كرام مصلحون ذوو نفوس »[2]

❖ **الثورة:**

يقول أبو القاسم سعد الله واصفا الانتصار بعد سنين و مدى شوق الشعوب له،و يصف ما فعله المستعمر في بلاده:

---

[1]–د،عبد جاسم الساعدي:الشعر الوطني الجزائري بين حركة الإصلاح و الثورة–دراسة–، منشورات التبيين الجاحظية،بدعم من وزارة الثقافة و الإتصال،سلسلة الدراسة الجزائر،2002،ص206.

[2]–د،عمر بن قينة،في الأدب الجزائري الحديث،تاريخا وأنواعا و قضايا و أعلاما،ديوان المطبوعات الجزائرية، بن عكنون–الجزائر،ص64،65.

«كان حلما وانتصار

كان لحنا في السنين

كان شوقا في الصدور

أن نرى الأرض تثور

أرضنا بالذات،أرض الواعدين

أرضنا السكرى بأفيون الولاء

أرضنا المفلولة الأعناق من قرن مضى

كان حلما،كانشوقا،كان لحنا

غير أن الأرض ثارت

و الهتافات تعالت

من رصاص الثائرين»[1]

❖ **الوطن:**

و الوطن بالنسبة للشعراء الجزائريين لم يأت حبه بسهولة إلا بعد معانات و حروب خلفت شهداء كثر خاصة في الجزائر.

«وطني صاحت الرياح حواليك

و ثارت الأهواء

و طغت بالدماء أو بالأرض

[1]–ديوان أبو القاسم سعد الله:الزمنالأخضر،عالم المعرفة للنشر و التوزيع،ط3،باب الزوار–الجزائر،2010،ص175.

و حالت الأشياء

كل ما في الوجود يفدي ضحايات

حتى الربا و السماء»[1]

❖ المولد النبوي الشريف:

قال عبد الكريم العقون يصف يوم مولد الرسول صلى الله عليه و سلم،فيقول أن جميع الناس تفرح بهذه المناسبة:

«انتشر الكون راقصا هزه التو قيع مستقبلا رسول الأنام

و تغنت جزيرة العرب للوا فد جذلى بأعذب الأنغام

و تبدي بأفقها نجم طه مشرق النور هازما للظلام

نغمات تهز بني الضا د و توحي شعوره كل عام

و على البيد نفحة من سكون فهي تصغي للوحي و الإلهام

وسوس الرمل بالتسابيح و التهليل للمجد و العلا في هيام

و انجلى الفجر عن محي وضيء لسنا الفجر في الدجى المترامي»[2]

❖ المرأة:

تكلم السنوسي الزاهري عن مكانة المرأة في المجتمع الجزائري فيعتبرها هي نواة المجتمع و هي من تربي أبنائه و تعلمهم فقال:

---

[1]–المرجع السابق،ص217.

[2]–د.الشريفمريبعي:شعر عبد الكريم العقون،صدر عن وزارة الثقافة ،عام2007،ص144.

«أخذت تمد إلى النهوض الجيدا لما رأت علم الأنا مرقودا

و مشت تجدد للبنات مودة نحو البنين الغاليين صعودا

إنا على ما تعلمون بحالة ملئت بنت النبوغ جمودا

أنا نبات الشعب في أمية ملأت رؤوس الناشئات خمودا

ناشدتكم بالله و الرجم التي في الكتب مجد ذكراها تمجيدا

أن تبعثوا للعلم في أبنائكم روحا ومن كيس المسح نقودا»[1]

❖ **العروبة:**

يعتبر جلواح من أوائل الشعراء الجزائريين الذين تغنوا بالعروبة فقال في مطلع قصيدته (أنا عربي):

«أنا عربي لا جنس أمجد من جنسي أنا عربي أفدي العروبة بالنفس»[2]

و قال عبد الحميد بن باديس بوصفه للشعب الجزائري و مدى انتسابه للعروبة:

«شعب الجزائر مسلم و و إلى العروبة ينتسب

من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب

أو رام إدماجا له رام المحال من الطلب»[3]

[1]–أ.الحميدغنام:محمد الهادي السنوسي الزاهري،حياته و شعره،مطابع دار النعمان للطباعة و النشر و التوزيع،الجزائر،2007،ص97.

[2]–د.عبد الله الركيبي:الشاعر جلواح من التمرد إلى الإنتحار،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1986،ص206.

[3]–محمد الحسن فضلاء:الشذرات في مواقف الإمام عبد الحميد بن باديس،دار هومة،الجزائر،2010،ص62.

➢ **أشهر شعرائه:**

«لقد أضاف الشعراء الجزائريين في العصر الحديث الكثير إلى تجاربهم حين عايشوا هذا العصر،و هذا ما جعل بعض قصائدهم تحمل صبغة اجتماعية.»[1]

و هنا سنسلط الضوء على بعض هؤلاء الشعراء:

- «مفدي زكريا(1913–1978):الذي ولد في بلدة يسجن جنوب الجزائر،يعد من ألمع شعراء الجزائر و المغرب العربي.مندواوينه"اللهبالمقدس"،كتب كثيرا عن معانات الجزائر و الجزائريين'بان الثورة و حارب كل خدع فرنسا.»[2]
- «محمد السعيد الزاهري(1899–1956):ولد بمدينة مليانة قرب بسكرة،يرى أن الحفاظ على الكيان الجزائري لا يكمن في الاكتفاء بالحلم في الماضي و لكن يقتضي إبداع حاضر.»[3]
- «مبارك الميلي:توفي سنة 1945 من رجال الإصلاح المعروفين،كتب عن رفض الجزائري للجهل و يطمح إلى نيل المعارف و كسب الفخار.»[4]
- عمر بن قدور(1886–1930):من أبرز المناضلين الجزائريين،اشتهر بقلمه و فكره،و تول مهمة التعريب بالجزائر فهو دائما يذكر الشعب الجزائري بالعربية و بأجداده.»[5]
- ابن باديس(1889–1940):ولد بمدينة قسنطينة شرق الجزائر،يعتبر أبا النهضة الإصلاحية بالجزائر بمواقفه المشهودة و دفاعه عن الشديد عن العروبة و الإسلام فهو يعتبرهما قضيتان متلازمتان.

---

[1]–د.عمربوقرورة:الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث،1945–1962،ص183.

[2]–محمد صالح الجابري:الأدب الجزائري المعاصر،ص35.

[3]–المرجع نفسه،ص36.

[4]–المرجع نفسه،ص44.

[5]–المرجع نفسه،ص45.

- رمضان حمود(1906–1926):ولد بمدينة غرداية جنوب الجزائر حيث درس،يتميز شعره بالدعوة إلى العروبة و الإسلام.
- صالح خرفي: من مواليد 1932 بالقرارة بواد ميزاب جنوب الجزائر،من مؤلفاته"شعر المقاومة الجزائرية".توفي سنة1998.
- «حمزة بوكوشة:من مواليد واد سوف جنوب الجزائر،كان مساهما في الحركة الوطنية تناول قضايا عدة منها الطرقية و الزوايا.»[1]
- «عبد الله شريط:المعروف بابن الفكون ولد بمدينة مسكيانة سنة 1921،درس بالجزائر حيث كتب في ذكرى المولد النبوي الشريف.»[2]
- محمد الأخضر عبد القادر السائحي:ولد عام 1933 في العالية ولاية ورقلة،له عدة دواوين شعرية منها ألوان من الجزائر.
- أبو القاسم خمار:من مواليد بسكرة سنة 1931،له دواوين شعرية كثيرة منها الجزائر ملحمة البطولة و الحب.
- محمد الأمين العمودي: ولد بمدينة واد سوف و توفي شهيدا في مدينة لبويرة،له قصائد في كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر.
- أحمد الغوالمي:ولد في عام 1920 بمدينة ميلة و توفي بقسنطينة في 1996،له ديوان واحد يجمع جل أشعاره.
- «جلواح:هو مبارك بن محمد جلواح:ولد عام 1908 و قيل عام 1910 بقرية بني عباس،قرب مدينة أقبو بولاية سطيف.»[3]
- «محمد الصالح خبشاش:ولد في وادي يعقوب بقسنطينة سنة 1904.»[4]

---

[1]–المرجع نفسه ،ص62.

[2]–المرجع نفسه ،ص63.

[3]–د.عبد الله الركيبي:جلواح من التمرد إلى الإنتحار،ص82.

[4]–محمد الطمار،تاريخ الأدب الجزائري،سحب الطباعة الشعبية للجيش،الجزائر،2007،ص287.

الفصل الثالث:القضايا الاجتماعية في ديوان محمد العيد آل خليفة:

- **التعريف بالشاعر و بيئته.**
- **القضايا الاجتماعية في ديوان محمد العيد آل خليفة.**

- **التعريف بالشاعر و بيئته:**

حياته:

في مدينة عين البيضاء الجميلة التي تتربع بين التلال و السهول تكاد حقول القمح و الشعير تحف بها من كل الجوانب المحيطة بها ،فتلبسها الاخضرار و الأزهار في فصل الربيع و تمنحها البهجة و الرخاء في الصيف.و في أحضان أسرة عريقة في التدين و تحت رعاية أب صوفي صالح.و لد الابن محمد العيد بن محمد علي بن خليفة في (27جمادى الأولى 1322هـ الموافق ل 28 أوت 1904)،نشأ في ذلك الجو الأسري المفعم بالتقى و العفة و الورع فتشربت نفسه هذا الحب العميق الموروث للعقيدة الإسلامية و الأخلاق الفاضلة و الإيمان الشديد بعز الإسلام والوطن.

و كان والد محمد العيد حارسا على تعلمه حيث استهله بقراءة القرآن في الكتاب ثم التحق بالمدرسة بعين البيضاء حيث بدأ يتلقى المبادئ الأولى في العلوم اللغوية و الدينية.و لما انتقلت أسرته إلى بسكرة و ذلك حوالي 1918م «كان الشاعر لم يكمل حفظه للقرآن الكريم فأتمه و هو ابن أربع عشرة سنة على أئمة مساجدها مثل الشريف و المختار بن اليعلاوي و الجنيدي أحمد مكي و علي بن إبراهيم العقبي الذي كان يدرس في هذه الفترة بمسجد الزاوية القادرية ببسكرة.»[1]و قد «ساهمت أسرته إلى جانب المدرسة القرآنية في صقل أخلاقه و تكوينه تكوينا إسلاميا ظل واضحا في سلوكاته»[2].

«و في سنة1920 شد الشاعر الرحال إلى تونس،ليلتحق بجامع الزيتونة و ينال شهادة التطويع.من هذه المنارة العلمية التي كانت لها شهرة دينية و ثقافية في المغرب العربي،على غرار الأزهر في مصر.فأكب الشاعر على الدروس و التحصيل و أخذ يتعمق في الثقافة قديما و حديثا و يجمع بين الحياة الدينية التي تشبع به في أسرته و في

[1]–د.الربيعي بن سلامة،عمار ويس:موسوعة الشعر الجزائري،دار الهدى للنشر،قسنطينة،2002،ط1،ص321.

[2]–د.محمد ناصر:الشعر الجزائري الحديث(اتجاهاته و خصائصه الفنية 1925–1975)،1985،ط1ص666.

بسكرة،وبين الحياة المادية التي يعيشها و يواجهها في تونس كما كان يداوم «بصفة حرة على بعض الدروس في المواد العصرية كالحساب و الجغرافية بالمدرسة الخلدونية،التي كانت مكملة للزيتونة باهتمامها بالعلوم الحديثة».[1]

و دامت دراسته على هذا النحو سنتين،على أيدي شيوخ كبار أمثال (عبد العزيز الباوندي) (محمد الدامرجي)،(محمد مناشو)،و غيرهم من علماء تونس فكان يأخذ عنهم العلم كما يأخذ أيضا «المؤثرات الشرقية التي كان يسمع عنها و هو صغير،فازداد–عن طريقهم– ثأرا بها و بما يدور في أروقة الزيتونة من صراع حول المحافظة و الإصلاح،و بما كان يشيع في الحياة العامة من تيارات سياسية و ثقافية و أدبية».[2]

و في السنة الثانية من دراسته،أصيب الشاعر بمرض أرغمه على العودة إلى بسكرة عام 1923،و يقول الشاعر في ترجمته:«و ما كان ينقضي عام 1342هـ حتى خارت قواي،و ضعفت عزيمتي بما طرأ علي من الآلام التي كانت حجر عثرة في سبيلي،فاضطررت للرجوع إلى بسكرة».[3]

هكذا اضطر الشاعر العودة إلى الجزائر و استقر ببسكرة وهو ما يزال متعطشا لطلب العلم،فاتصل بالشيخ (المختار اليعلاوي) الذي كان يدرس بالمسجد العتيق،فدرس على يديه الفقه و الحساب و الفلك «كما اختلف إلى دروس الشيخ (البشير الإبراهيمي العقبي) أحد كبار العلماء بزاوية سيدي عقبة،و هو من أقارب الطيب العقبي بالزاوية التيجانية، و إلى دروس العقبي التي يقدمها في مسجد بكار ببسكرة و كانت تدور حول التفسير و البلاغة.

---

[1]–د.صالح خرفي :محمد العيد آل خليفة،سحب الطباعة الشعبية للجيش،الجزائر،2007،ص 17.

[2]–د.حسن فتح الباب،محمد العيد آل خليفة شاعر الجزائر،الدار المصرية اللبنانية،2002،ط1،ص93.

[3]–محمد الهادي السنوسي الزاهري :شعراء الجزائر في العصر الحاضر،د عبد الله حمادى،ج 1،دار بهاء الدين للنشر و التوزيع،قسنطينة–الجزائر،2007،ط2،ص80.

و هكذا شب محمد العيد على الثقافة العربية الإسلامية»[1]،ونهل من منابعها الصافية،و بالرغم من صوفية والده و ميله هو إليها،فإنه كان بعيدا عن الانحرافات التي أدت بالطرقيين إلى الغلو، و التمسك بالطقوس التي ليست مت الإسلام في شيء،كما كان بعيدا عن الردة الثقافية التي تعرض لها كثير من معاصريه «و لا شك أن الشاعر كان يرى أن الطرقيين قد خرجوا عن أصل الشريعة،وابتعدوا عن روح الإسلام و شوهوا جوهر العقيدة و أصبحوا عامل انحطاط،وهم يشعرون أو لا يشعرون،و قد وقف العيد من هذه الانحرافات موقف استنكار»[2].

و منذ ذلك أخذ يشارك في النهضة الفكرية و ينشر في الصحف و المجلات،«فعرفته صدى الصحراء للشيخ (أحمد بن العابد العقبي) و المنتقد،و الشهاب «لعبد الحميد ابن باديس»،و الإصلاح للشيخ(العقبي)».[3]

و في عام 1927 دعي محمد العيد إلى العاصمة ليقوم بمهمة التدريس بمدرسة الشبيبة الإسلامية،و ظل مدة اثني عشر عاما بين مدرس مرة و مدير مرة أخرى،و قد شهد له بهذه المهمة بعض تلاميذه الذين درسوا على يده في تلك الفترة،ففي حوار أجري مع الكاتب الجزائري محمد مختار اسكندر قال في معرض رده عن سؤال«...و انتسبت إلى مدرسة الشبيبة الإسلامية الجزائرية،و كان لي شرف الدراسة فيها على يد شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة،وبعد انتقال الشاعر إلى مدينة بسكرة أثناء الحرب العالمية الثانية خلفه في إدارة المدرسة الأستاذ أحمد جلول البدوي».[4]

---

[1]–أبو القاسم سعد الله :الحركة الوطنية الجزائرية،ج2،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،1981،ط3،ص416.

[2]–بن زروق نصرالدين :الأسلوب في شعر محمد العيد آل خليفة،رسالة ماجستير،غير منشورة،الجزائر،1995–1996،ص20.

[3]–وزارة الشؤون الدينية :آثار عبد الحميد ابن باديس،ج3،دار البعث قسنطينة،1984،ط3،ص103.

[4]–المرجع نفسه،ص104.

و خلال و جوده بالجزائر العاصمة أسهم الشاعر في «تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،و كان عضوا عاملا فيها،و أغلب شعره آنذاك كان ينشره في صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،و كان عضوا عاملا فيها،و أغلب شعره آنذاك كان ينشره في صحف جمعية العلماء (الشهاب،السنة،الشريعة،البصائر)،إضافة إلى صحيفتي (المرصاد والثبات)لمحمد عبابسة الأخضري».[1]

وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية سنة 1940 ترك الشاعر العاصمة،و عاد إلى بسكرة و قضى بها مدة يمارس التعليم في المدارس الحرة،ثم انتقل إلى باتنة للإشراف على مدرستها العربية،و بقي هناك من حوالي 1941إلى غاية1947،و في هذه الفترة يبدو كما يرى الدكتور أبو القاسم سعد الله أنه (الشاعر) عانى من قسوة الحياة و جفاء الأصدقاء،«ما جعله يشك في قدرة الإنسان على تحقيق رسالة الحق و الفضيلة و مع ذلك رأسه للعاصفة،و لم يبال بهذه القسوة و ذلك الجفاء بل استمر في كبريائه و شموخه يكافح من أجل العيش الشريف و الحرية الكاملة»[2].

و من باتنة انتقل الشاعر بأسرته إلى عين مليلة حيث بقي ثماني سنوات مديرا لمدرستها الحرة،«حيث عاش يناضل بإيمان الواثق من الانتصار لنفه على الحياة القاسية،و لشعبه على الاستعمار و الاضطهاد»[3].

و قد استمر إشراف الشاعر على مدرسة العرفان التي كان يديرها والده حتى سنة 1954،حيث ألقي عليه القبض لكونه من رجال النهضة و الإصلاح،و أحد أبرز أعضاء جمعية العلماء،و بعد إطلاق سراحه ما لبثت السلطات الاستعمارية أن اعتقلته عند بداية

---

[1]–محمد ابن سمينة :شخصيات لها تاريخ:محمد العيد آل خليفة،المؤسسة الوطنية للكتاب،زيروت يوسف،الجزائر،ص09.

[2]–محمد ابن سمينة:محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته،ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون– الجزائر،1992،ص07.

[3]–حرة زياط–تومية زروالة–صديقي ناصرية:الحس الإصلاحي في شعر محمد العيد آل خليفة،تحت إشراف الأستاذ وذناني بو داود،دفعة2000،ص62.

الثورة،و زجت به في سجن الكدية بقسنطينة ،وعن تاريخ اعتقاله و مدة ذلك يقول ابن سمينة أنه تم إيقافه و هو يقدم دروس تحريضية على الثورة بالمسجد المجاور لمدرسة عين مليلة،و اقتيد موثقا إلى سجن المدينة في شهر جوان 1955،ثم نقل منه إلى سجن الكدية بقسنطينة في الرابع من الشهر المذكور فمكث به حوالي 14 يوما.

أما عن سبب إطلاق سراحه فقد تم اثر مجموعة من التدخلات من بعض المدافعين الفرنسيين،ومن شيخ التيجانية (أحمد التيجاني) .وهو الموقف نفسه الذي يراه أبو القاسم سعد الله،أن محمد العيد بعد القبض عليه« سيق إلى الموت ثم عفي عنه بتدخل محتمل من الزاوية التيجانية بينما نفد الإعدام في غيره»[1].وبعد محاكمته أطلق سراحه، و فرضت عليه الإقامة الجبرية ببسكرة،وظل معزولا عن الناس،وخلال السنين السبع للثورة خضع إلى رقابة صارمة،«فحضر عليه مغادرة منزله،معرضا في كل لحظة للاستنطاق»[2].

ففي إحدى المحاكمات التي جرت للشاعر في قسنطينة سنة 1957،كانت التهمة الرئيسية الموجهة إليه هي:«المساهمة في الإعداد للثورة،و كان المدعي العام يستمد كل حججه من أشعار (محمد العيد) حتى صرخ فيه محامي الشاعر:ما عهدنا فرنسا تحاكم على حرية القول بهذه الصورة؟».[3]

و بقي الشاعر على هذه الحال حتى أشرقت شمس الحرية على الجزائر.و قد واصل دوره في ثورة البناء و التشييد،ولكن صوته بدأ يخفت و إنتاجه يقل لأسباب صحية،حتى وفاته في 31 جويلية 1979 بمستشفى باتنة.

---

[1]–أبو القاسم سعد الله:محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث،دار المعارف،مصر ،1919،ط2،ص138.

[2]–المرجع السابق،ص68.

[3]–أحمد شرفي الرفاعي :الشعر الوطني الجزائري،ص284.

و قد عاش محمد العيد –رحمه الله– أكثر من سبعين سنة مجاهدا بالقول و الفعل جهادا متواصلا دؤوبا،مخلصا للمبدأ أبيا وفيا لوطنه و شعبه و تجلى هذا في كل أشعاره التي تركها «و في حياة محمد العيد و شعره و جهاده،و حياة إخوانه من المجاهدين الأوائل أولئك المخلصين البررة...الذين وحدهم درب الجهاد الطويل...قدوة مثلى،و عبرة بعيدة الغور عميقة المغزى...في حياة أولئك الأبطال الرجال صفحات مجيدة وضاءة مشرقة يحق لجيل المستقبل أن يعتز بها مرفوع الرأس»[1].

و قد ترك محمد العيد حياة حافلة بالأعمال المجيدة هي بحق سيرة جديرة بالتسجيل و الاقتداء،كما ترك سجلا هائلا من الأعمال الأدبية الجليلة التي تخلد ذكره في قلوب الأجيال و تكون معينا صافيا للأدباء هي:

1 –ديوان شعر ضخم يفوق 600 صفحة ،من القطع الكبير طبع أول مرة سنة 1967،و صدرت طبعته الثالثة سنة 1992،تناول فيه قضايا سياسية و اجتماعية وطنية،ز عربية إسلامية.
2 مسرحية شعرية بعنوان(بلال بن رباح) طبعت بالمطبعة العربية الجزائرية سنة 1938.
3 بعض الخطب و المقالات الصحفية التي نشرها في بعض الجرائد و الصحف كصحيفة (صدى الصحراء،الإصلاح،المنار) و غيرها.
4 ملحق شعري بعنوان (العيديات المجهولة) و هي تكملة لديوان الشاعر جمعها و حققها بن سمينة محمد،تضم مجموعة كبيرة من شعر الشاعر المجهول،قصائد و مقطوعات و أناشيد و أبيات مفردة،«و تمتد مادة الشعر المستدرك على مسافة زمنية توشك أن تغطي جميع مراحل حياة الشاعر ما بين(1920–1974)»[2].

[1]–دوغان أحمد:شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1989،ص15.
[2]–المرجع السابق،ص285.

بيئته:

إن البيئة التي سبقت مولد الشاعر بقليل و استمرت طول حياته في ذاتها بيئة النهضة القومية في الجزائر التي تبتدر من الربع الأخير من القرن الماضي و تمضي في صدودها و تأزمها حتى تصل إلى القمة و الحديث عن هذه البيئة يعني بالضرورة الحديث عن مراحل النهضة القومية و مظاهرها و لكننا مع ذلك سوف لا نملك هذه الطريقة،وسوف نكتفي بالحديث عن المقومات الأساسية في تاريخ النهضة و الملامح البارزة في هذه البيئة لأن غرضنا لا يعدو أن يكون ربط الشاعر بالوسط الذي عاش فيه.والتيار الذي اشترك معه و انف لبه من قريب و من بعيد أما الحديث عن النهضة القومية في ذاتها و أساسها و مراحلها وأشكالها.

و قد اتخذت هذه البيئة عدة أشكال منها الاجتماعي و السياسي و الثقافي و منها النفسي و الأخلاقي و الرجعي و التقدمي و منها الداخلي و الخارجي و سنكتفي هنا بالحديث عن الشكل الأول و هو الاجتماعي نظرا لأهمية هذا الشكل في بحثنا.

البيئة الاجتماعية:

كانت الخطة الاستعمارية تعمل على إبقاء النظام القبلي و تنمية الروح العنصرية و الطائفية ،كما كانت تعمل على تسليط المشعوذين من رجال الدين على عقل الشعب البسيط كذلك عان الشعب من الفقر و الأمراض،و حلت به بعض النكبات كالزلازل و المجاعات و جرد من أملاكه و أرضه كل هذه العوامل الجزائر.

هدف فرنسا من خطتها في الجزائر هو استيلاء السلطات على جميع المساجد الإسلامية،و الظاهرة البارزة في المجتمع الجزائري هو أنه مجتمع بلا طبقات أو ألقاب يشعر أفراده بالمساواة المطلقة فالفلاح و العامل و المثقف يجلسون إلى مائدة واحدة و يتخاطبون بلهجة واحدة و هي سياسة من وضع الاستعمار ليجعل نفسه السيد المطلق أما الآخرون فقد جاؤوا لخدمته للترفيه عنه.

نظرا للأوضاع الموجودة في الجزائر فقد و جدت عدة جمعيات تدافع عن حقوق الإنسان داخل وطنه« منها جمعية الشبيبة الإسلامية و هي التي كان محمد العيد مديرا لمدرستها العربية حينا من الدهر »[1]،و قد ذكرها و ذكر بعض رجالها في شعره في عدة مناسبات،و ظهرت كذلك عدة محاولات لتحرير المرأة متأثرة بالدعوات التي كانت تروج في الشرق العربي و لكن هذه المحاولات باءت بالفشل،«إذ كان المجتمع الجزائري المحافظ إلى درجة التحجر لم يسمح بوجود أفكار من هذا النوع و بذلك بقيت المرأة العربية في الجزائر لا تخرج إلا قليلا و لا تتعلم،و لم يحررها من أسر هذه التقاليد إلا الثورة حيث أصبحت عنصرا فعالا في المعركة الوطنية»[2]،و لمحمد العيد رأي في مشكلة السفور و الحجاب و تطوير المرأة.

كان المجتمع الجزائري إبان الاحتلال يعاني من عدة أمور منها أزمة الشك في قدرته على الالتقاء على هدف واحد بعد أن فرقته الخرافات و الشعوذة و بعد أن مزقته السياسة.تطورت هذه الأزمة حسب مراحل الكفاح الوطني فاكتسبت أحيانا قوة الصراع،و كان محمد العيد هو الذي خرج بهذه الأزمة إلى الشمس و الذي ترك في أحضان الشعب منذ الطفولة استطاع بحق أن يكون لسان هدا المجتمع الناطق و قلبه النابض،فتحدث عنه في هجراته و تشرده و إقامته الذليلة و قلقه و ضياعه و صور كفاح الشعب ومواقفه البطولية عبر التاريخ و تحدث عن مآسيه و منشآته و جسم عواطفه و أمانيه في الحرية و الحياة الشريفة كما تضمن شعره أكثر المشاعر الوطنية التي كانت تنبض بها قلوب الآلاف من أبناء الشعب .

[1]–محمد مختار اسكندر :البصائر ،سلسلة4،سنة6،العدد262،(14–21نوفمبر 2005)،ص15.

[2]–ابراهيم لقان،ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة–دراسة فنية–،تحت إشراف،د.يحي الشيخ صالح،دفعة2006–2007،ص04.

و قد أصاب محمد العيد في أغلب الأحيان و أخطأ أحيانا،و لكنه على أية حال كان مرآة لفترة ما غير قصيرة من حياة الشعب و صورة منه لكفاحه و تطوراته و نكباته و انتفاضاته من أجل المحافظة على قوميته و مقدساته و الوصول إلى مستوى إنساني رفيع.

هذه صفحات من حياة محمد العيد آل خليفة أمير شعراء الجزائر،و إبداعه الشعري الذي استمر أكثر من نصف قرن و طرق به شتى الأغراض المأثورة باستثناء الهجاء إذ كان ينفر منه بحكم تقواه و ورعه و رسالة الإصلاح التي إصطبع بها و وصفها بأمانة الله يحملها في عنقه حيث قال:

و أمانة لله قمت بحملها جسمي بها متحطم مهدود

و يكفي محمد العيد فخرا و جدارة بوصفه في صدارة الشعراء« الذين وقفوا بإبداعهم على التغني بالوطن و الدفاع عن العروبة و الإسلام فقد التزم بقضية تحرير الجزائر في أحدث مراحلها التاريخية دون أن ينحرف لحظة واحدة عن رسالته طوال عمره الذي قارب الثمانين،برغم ما لقيه من صنوف الاضطهاد و هو يمد بذلك قدوة حسنة لمعاصريه و من أتى بعدهم من أبناء الجزائر خاصة و الوطن العربي عامة».

القضايا الاجتماعية في ديوان محمد العيد:

1-العروبة:

محمد العيد شاعر عربي أصيل،يجري الدم العربي الحر في عروق أسرته منذ أجيال ،و تتجلى مظاهر عروبته في غيرته الشديدة على اللغة العربية و ثقافتها و تغنيه بمجد العرب الخالد.و أمله في بناء مستقبل عربي مجيد،فمن شعره القوي حديثه عن اللغة الفصحى كحق من حقوق الشعب الذي ينادي به في شعاراته الوطنية،مشيرا إلى أن الشعب الجزائري من سلالة عربية عريقة و أن الذين يحاولون فصله عن عروبته و تجريده من لسانه القوي سيدركهم الفشل لا محالة ففي قصيدة بعنوان أبي العلم جاء فيها:

«تحن إلى نيل الحقوق نفوسنا و تأبى علينا نيلها قوة الغشم
ونقضي عن الفصحى ونلهى بغيرها وليس سوى الفصحى لسان لنا رسمي
و ما نحن إلا من سلالة يعرب فمن رام عنها فصلنا باء بالرغم»[1]

و لكنه حين يفتخر بعروبة الشعب الجزائري و تاريخه المجيد و حين يزهو بحضارة الأمة العربية عبر العصور يشمخ برأسه عاليا و يرفع صوته بغير هيبة فيقول عن المستعمرين في قصيدة تحمل عنوان(بشرى البراءة):

«سوف يدرون و إن طال المدى أن هذا الشعب بالمجد قمين
يشهد التاريخ في أسفاره أنه من قبل للمجد قرين
من بقايا أمة عادية و سلالات غزاة فاتحين»[2]

و مجمل القول أن محمد العيد كان يؤمن بأن الجزائر عربية وطنا و لسانا و تاريخ،برغم القوانين الجائرة و الأصوات النافرة،و في سبيل هذه الفكرة عمل طول

[1]-محمد العيد آل خليفة،الديوان،ص205.

[2]-المرجع نفسه،ص173.

حياته.كما كان يؤمن بالأمة العربية الواحدة و هو في هذا من أوائل المبشرين بالوحدة الكبرى من شعراء الجيل السابق.

2-التعليم:

إن الحديث عن دعوة محمد العيد الإصلاحية إلى نشر العلم،يلفت إلى الإشارة إلى جمعية العلماء التي كانت تشرف على الإصلاح المتكامل اجتماعيا و ثقافيا و سياسيا و اقتصاديا،و كان دأبها في إصلاح القضايا السابقة هو إحداث ثورة علمية.

فقد جاء في قصيدة بعنوان (استوحي شعرك) ذكر للعلم إذ يقارن بين العلم و الجهل،فيقول بأن العلم سلطان الوجود و هو وسيلة السيادة و المجد و صناعة الأوطان،و يرى أن أغلى ما يشيده الإنسان من حصون و ما يرفعه من قلاع يتمثل في المدرسة التي تنتج العقول و المصنع الذي ينتج و سائل التنفيذ،أما الجهل فهو شبيه الغراب الذي لا يحوم إلا على الخراب و على الأرض،فهو كذلك كغيم خيم فوفها و غطى أحيائها و الدليل على ذلك قوله:

«العلم سلطان العقول فسد به من شئت أو ذد عن حياضك و ادفع
و الجأ له بدلا الحصون فلا أرى حصنا كمدرسة سمت أو مصنع
قل للجزائر انشئي كلية تمحو جهالة شعبك المتسكع
الجهل أشبه بالغراب فما له من منزل غير الخراب البلقع
الجهل غيم فوق أرضك ضارب غطى على أحيائها و الأربع»[1]

3-المولد النبوي الشريف:

عالج محمد العيد في شعره الاجتماعي المواسم الدينية التي مازال الشعب الجزائري يتعلق بها و يحييها في كل مناسبة.فنظم في المولد النبوي عدة قصائد،فمثلا

[1]-المرجع نفسه،ص145.

في قصيدة (المولد النبوي) جاء فيها وصف و تحية لسيد و خير الأنام فيقول في هذا الشأن:

«نحيي خير مولود بدا في خير ميلاد
نحي سيدا في الخل ق متبوعا بأسياد
نحي مرشدا لم يبل غ منهم أجر إرشاد
نحي داعي الحسنى نحي راعي الضاد»[1]

و نجد في قصيدة أخرى تحمل عنوان (أنشودة الوليد) اعتراف من الشاعر بحبه الشديد لخير الأنام و شدة احتراقه إليه فهو مسلم يهوى الهدى فيقول واصفا شعوره:

«بحب محمد أتعلق و بخلقه أتخلق
و على البنين جميعهم في حبه أتفوق
نفسي الفتية دائما من حبه تتحرك
و جوانحي مهتاجة و مدامعي تترقرق
مالي و للعب التي تختار لي و تنسق
أنا مسلم أهوى الهدى بسواه لا أتحقق»[2]

و هناك مواضع أخرى تكلم فيها محمد العيد عن المولد لكنه لم يتناولها في ديوانه أو تعد هذه القصائد مجهولة ففي قصيدة بعنوان (هلال ربيع أو ذكرى مولد محمد صلى الله عليه و سلم حيث قال:

«هداك محمد دينا رفيعا فأكرم شهر مولده ربيعا
أجل ما شئت طرفك في هلال بديع واقرض الشعر بديعا
وهلل فالهلال عليك حاف كمثل آلام تحتضن الرضيعا
عرتك لفقده الأغيار حتى أطل عليك فانجابت سريعا

[1]–محمد العيد،الديوان،ص75.
[2]–محمد العيد،الديوان،ص166.

و علقه ببابك قوس نصر تجد كنفا بساحته صنيعا

وضعه على جبينك تاج فخر تعش ملكا بهيبته قريعا

وحسبك أنه ذكرى رسول يدين المسلمون له جميعا

رسول ختم يتلو كتابا منيرا بين الذكرى نصيعا »[1]

وفي قصيدة أخرى حملت عنوان (تحية المولد النبوي) جاء فيها دعوة إلى القيام بالاحتفال بالمولد النبوي وهذا من خلال قوله:

«قم فاحتفل واعقد بشهد المولد ذكرا لتاج الأنبياء محمد

قم فاقتبل بالبشر ليلته التي سادت على الدنيا بأعظم سيد»[2]

أما في قصيدة أخرى عنوانها محمد العيد بعنوان (خطك الله للعباد كتابا) قال فيها بعجز الناس على الشكر و في آخر القصيدة قدم وصيته للرفاق تابعة عن خبرته في الحياة يدعوهم فيها إلى التمسك بكتاب الله و قد جاء فيها ما يلي

«عجز الناس أن يوفوك شكرا في أياد لم تألهم منك تترى

وصولاإلى قوله:

يا رفاقي وصية من خبير ذاق طعم الحياة حلوا ومرا

قد ورثتم عن الرسول كتابا عبقريا سمح التعاليم يسرا

أمسكوا بالكتاب وادعوا إليه كل خصم أتى من الأمر مرا »[3]

والمناسبة الدينية لا يحتفل بها الشاعر لذاته بل للتذكير بما فيها من مواقف وبما حفها من دفاع عن الحق والفضيلةو ما صحبها من مجد وسلطان

4-رمضان:

[1]-جريدة،الشهاب،عدد 163،قسنطينة،10 أكتوبر 1928.

[2]-الاصلاح،السنة3،العدد2،5سبتمبر 1929،ص32.

[3]-الشهاب،ج8،م8،أوت1932.

أما رمضان فقد كان يعالج فيه الحياة الاجتماعية من زاوية أخرى إذ لا تكتفي بما في شهر الصيام من روحانية وتجرد ولا بما فيه من ضبط للنفس و التغلب على الشهوات بل إنه تعدى هذه المعاني إلى استشارة روح البذل والسخاء والتسامح والتعاون بين أفراد الشعب وقد خصه كذلك بعدة قصائد ولكنها لا تحمل من رمضان إلى عنوانه وجزءا من أبياتها أما باقي الأجزاء فهي عبارة عن قواعد ودروس أخلاقية أو نداءات إلى إقامة مجتمع متماسك بالحب.

ففي إحدى قصائده بعنوان (شهر الصيام) يحكي فيها عن إطلاله البهية على البرية وأصناما فيه من فضائل ومن اتحاد وأجواء رمضان من جوع وعطش وغيرها و يخلص في النهاية إلى القول بأن الغاية هي حسن الختام فيقول

«أطل على البرية بالسلام ولح باليمن يا شهر الصيام

وحل على بني الإسلام ضيفا كريما بين رعي و احترام »[1]

«مهمتنا التماس البر فيها و غايتنا بها حسن الختام »[2]

ولم يتحدث محمد العيد عن إطلالة رمضان فقط بل تحدث عن زاوية أخرى وهي الوداع.ففي قصيدة بعنوان (وداع رمضان) قام الشاعر بمخاطبة النفس و دعوتها إلى وداعه والتهجد في الليالي العشر من انتهاء رمضان فيقول فيها

«يا نفس أزمع عنك الصوم رحلته فودعيه يودع جوك الكدر

ما بال جسمك طول الليل مطرحا كأنما فيه وهن أو به خدر

تهجدي في الليالي العشر و ارتقبي في ليلة القدر ما يسخو به القدر»[3]

5-الحج :

[1]-محمد العيد أل خليفة،الديوان،ص151.

[2]-المرجع نفسه،ص155.

[3]-المرجع نفسه،ص373.

وإذا كان هذا شأنه مع المولد ورمضان فماذا عساه أن يكون شانه مع الحج الذي هو إحدى الدعائم الدينية والاجتماعية الكبيرة ؟ لقد خصه أيضا ببعض شعره وتناوله من نواح جديدة ليست كلها دينية و ليست كلها في الفخر بالماضي والأسف على الحاضر وليست كلها أشواقا إلى صاحب المدينة والحجاز وما فيها من تاريخ فالحج في نظر محمد العيد وسيلة إلى الوحدة والتفاهم وسبيل إلى نشر اللغة العربية بين غير العرب من شعوب الأرض . وهي نفسها الروح الاجتماعية التي يتمتع بها الشاعر إذ لا يترك مناسبة دينية وأخلاقية قريبة أو بعيدة دون أن يحاول الإفادة منها و استحضار تعاليمها البنائية في سبيل إسعاد المجتمع و تقدمه .

وهكذا كان الترحيب بالحجاج العائدين من الأراضي الحجازية فرصة يقف عندها و يتملاها طويلا ليتحدث بعد ذلك عن ظاهرة اجتماعية حديثة وهي وسائل النقل.وقال الشاعر يخاطب الحجاج وقد أجاد الوصف والفكرة معا في قصيدة بعنوان (الترحيب بالحجاج) فيقول:

«طويتم له الأبعاد فوق مسخر من النار والفولاذ هيئ مركبا
فمن سار في البحر يدفع لجة ومن ضارب في البر يقطع سبسبا
ومن سابح فوق الأثير بركبه عن الريش مستغن بسبعين لولبا
أشار إليه الله في الذكرى قائلا (ويخلق ما لا تعلمون) ليطلبا
ولكن أبينا أن نجيل عقولنا لنكشف عما ظل عنا محجبا »[1]

وفي قصيدة أخرى تحمل عنوان (وداع الحجاج) جاء فيها وصف لوقت الرحيل من ذرف للدموع ووداع للبيت العتيق جاء فيها:

«شيعوا بالقلوب وفد العتيق واذرفوا الدمع من دم كالعقيق
هذه وقفة الوداع لركب خلقي بكل أجر خليق

[1]–محمد العيد،الديوان،ص194.

قاصد بيت ربه مستجير بحماه من كل كرب وضيق»[1]

6-ضحايا الاستعمار:

حفل شعر محمد العيد بالمواقف الشجاعة إلى جانب الضحايا من أبناء الشعب فلم تفته مناسبة فيها حيف عنصري لجزائري أو فيها مصرع ظالم لرائد من رواد الحرية و لذلك وجدنا في شعره رثاء ومواساة لكثير من هؤلاء الضحايا فمثلا حادثة الطفل رشيد مع إسباني تجنس بالفرنسية يدعى فرانسوا تربيا وتعلما معا ولكن خشية المستعمر من هذا الشاب الذي تقلد مناصب محترمة في الجيش منح المكافأة لزميله بينما بقي هو جندي بسيط، فخرج ليدافع عن حقوق بلاده فرثاه الكثيرون ومن بينهم محمد العيد الذي رثاه في قصيدة لم تتجاوز عشرة أبيات في قصيدة عنوانها (رثاء رشيد) يقول فيها:

«نعم لك في العلى عمل مجيد ولكن ما جزاؤك يا رشيد؟
أمت على الصبى أسفا وحزنا؟ لذلك ينتج الضغط الشديد
علام(فرانسوا) يعلوك كعبا أنت لمثله الكفؤ الوحيد
حياتك كلها مأساة حزن يشيب لهول منظر الوليد
وموتك يا شهيد العدل ذكرى مؤثرة يلين لها الحديد»[2]

وكذلكرثى شهيدين آخرين صرعا برصاص الشرطة الاستعمارية في إحدى المناسبات الانتخابية وقد أشار إليهما بقوله في قصيدة:

«شهمان في الخطب لم يهابا ناداهما الخلد فاستجابا
تلقيا في الحشا رصاصا مفرغا للردى مذابا
إن انتخبا جرى بحيف في دورها أعقب انتخابا»[3]

---

[1]-المرجع نفسه،ص192.

[2]-المرجع نفسه،ص449-450.

[3]-المرجع نفسه،ص460.

وكان صريحا بين وصم الحكام بالظلم والجور و حملهم مسؤولية الحادث الذي أرادوا أن يلصقوه بالشعب ليحدثوا فتنة وتصدعا في جبهته.

7-مأساة و ضحايا:

مع بزوغ القرن 20 أطل محمد العيد على الجزائر فصادف المأساة في ذروتها فانغمس في أحداثها وهو دون العشرين وتجاوب معها تجاوبا افقده بسمة الحياة وسلبه نضارة ربيع العمر فانعكست الصورة القائمة على حياته الخاصة فألقى نظرة على حالة شعبه وأصبحت الحياة في الجزائر سجلا متتابع الصفحات متلاحق السطور بالآلام والمآسي فلا يلبث محمد العيد أن يقول في قصيدة (أسطر الكون) :

«سئمت على شرخ الشباب حياتي فحرت ولم أملك حلي ثباتي
سئمت وإن كنت ابن عشرين حجة حوادث لا تنفك مستعرات
وأقرأ من أي الشقاوة أسطرا على صفحات الكون مرتسمات
فسطر عياييل أمضهم الطوى عراة على لفح الأثير حفاة
وسطر أيامي يصطرخت توجعا من البؤس لايفتأن مكتئبات
وسطر يتامى مرهقين تكبهم على جرف البلوى يد العثرات
وسطر شيوخ كالأهلة شيب وهل شيبهم إلا نذير وفاة
وسطر مشائيم غرار أذلة يسامون بالأرزاء و النكبات
وفوقهم شطر من الخلق كله جناة لعمر الحق فوق جناة
جناة يرى الرائي من الليل مسحة على سطرهم والظلم كالظلمات»[1]

والشاعر لا يتركك تائها بين السطور ، تمزقك الحيرة في مدى واقعيتها ، بل يأخذ بيدك ويلج بك الواقع المر ، حين يقدم لك لوحة شعرية أخرى قاتمة الألوان

[1]-محمد العيد آل خليفة،الديوان،ص10.

داكنة الظلال لا يحصيها العد في المجتمع الجزائري وذلك في قصيدة (تحية الشبيبة) :

«قف معي بالجزائر اليوم واسبر غور أحوالها بعين وأذن

تجد الطفل في الأزقة يلهو والفتى يشرب الخمور ويزني

تجد الطفلة اليتيمة تشقى تحت خدر تنوء أو تحت خدن »[1]

ومجمل القول أن ريشة الشاعر تتفرع لزاوية من زوايا المأساة ،تجلى معالمها وتقرب أبعادها زاوية الفقر و البطالة المتفشية زاوية الخطى المتعثرة هزالا وإعياء على أرض الكنوز

ولوحات محمد العيد القاتمة لا تفتقر إلى تقدمة أو تعليق إنها نابضة معبرة ، بل لا تحتمل حتى التجزئة مهما طال نفسها إنها لوحات متكاملة يفتقر أخر بيت في القصيدة لأول بيت فيها. ولا ريب أن المأساة بلغت عند محمد العيد غاية اليأس والقنوط يوم ألقت به على حافة القبر و لكنها غاية حتمية لخطى دامية وأنفاس لاهثة جريحة

8-الفقر :

لا يعد الجهل هو السبب الوحيد الذي ألهى الشعب الجزائري عن العلم ولكنه أيضا الفقر، اليتم والأيتام ،وكل مظاهر البؤس والحرمان و الانحراف ، التي سببها الاستعمار ،فقد جعل الشعب يعيش في دوامة من الفقر لأعوام ، غير أنه هناك أشخاص لا تعنيهم ما تعانيه الأمة ولا يعنيهم أمرها ولا فقر والفقراء وهذاما صوره لنا الشاعر العظيم محمد العيد في قصيدة بعنوان (أيها الرافعون القصور) . لعله يشير لمشاعر الإنسانية في قوله :

«فشا الجوع واشتد عسر المعاش وعادت سنو يوسف الغابرة

[1]–المرجع نفسه:ص110.

تفاقم كرب الفقير الكسير أما عندكم من يد جابرة

يشق عليه الرغيف الطفيف وتعوزه الخرقة الساترة

فيما أيها الدافعون القصور إلى الجو في الأمة القاصرة

ويا أيها الواعدون النيام على الخز في السرر الفاخرة

ألا تذكرون حفاة عراة أصابهم الفقر بالفاقرة »[1]

وهذه الأبيات ليست متسلسلة بهذه الطريقة وإنما اخترنا منها ما رأيناه يمت للقضية بصلة رغم أنها كلها تصب في نفس الدائرة .وفي ختامه لهذه القصيدة أراد أن يدعا الناس إلى الجود على إخوانهم وإنقاذهم مما يعانون منه وذلك عبر الجمعية الخيرية بالعاصمة لرئاسة الشيع العقبي وذلك في قوله :

«لقد آن أن تستفز النيام آذاناتخيرية باكرة

إذا صاح (عقبيها) للغيات أجابته عقبانها الكاسرة »[2]

9-السفور :

يعد السفور من بين الآفات الاجتماعية و هو انحلال معارض للدين الإسلامي . وسفور الفتيات و انحرافهن تخليهن عن آدابهم مقلدات بذلك النساء الغربيات و في هذا الصدد يقول محمد العيد في قصيدة بعنوان فتاة العصر) ما يلي :

«ما بال سير فتاة العصر منحرفا يهوى بها في مهاوي إلا فك والزور

إن الجزائر أمست بنتها غرضا لكل رام بسهم الغي مأجور

ما بالها هجرت آدابها ملتها ما بالها أعرضت عن خير دستور

في كل مرحلة تزداد ظلمتها في الرأي فاقرأ عليها سورة النور »[3]

10-المرأة :

---

[1]-المرجع نفسه،ص250-251.

[2]-المرجع نفسه،ص253.

[3]-المرجع نفسه،ص279.

اكتفى محمد العيد بالحديث عن المرأة من وجهة نظر اجتماعية محضة ،أو إن شئت الدقة فقل من وجهة هي مزيج من الدين والأخلاق و الاجتماع،ولا نستغرب منه هذه النظرة فالبيئة التي تقلب فيها ، تفرض عليه أن ينظر إلى المرأة على أنها كنز ثمين يجب المحافظة عليه بالدفاع والستر وهكذا عبر عن رأي الدين والأخلاق وركن إلى التقاليد الاجتماعية حين نادى بالحجاب للمرأة كي يقيها في نظره من الشرور والخطايا لأن عصمة المرأة في العفة و الاحتشام فجاء في قصيدة (ويخلد الإسلام) ما يلي :

«كيف تنجوا من شرور النساء لا يوارى وجوههن لثام
عصمة المرأة احتجاب وصون وإباء وعفة واحتشام»[1]

وهو في الوقت نفسه لا يقول مثل بعضه بإبقاء المرأة في البيت محرومة حتى من نعمة التعليم والثقافة بل اعترف بأن المرأة المتعلمة تستطيع أن تمنع نفسها من الوقوع في المغريات فيقول :

«علموا المرأة الحقائق في الدين فقد طوحت بها الأوهام
علموها الوقاية مما هاجمتها بشره الأيام
لا تغرنها بضاعة نخا سين كانت بها الإيماء تسام»[2]

11-الانحراف :

كانت الحركة الإصلاحية تهدف إلى تكوين الإنسان المتكامل جسما وروحا وهذا لا يتم إلا بعامل التربية التي تكون حاجزا بينه وبين شرور الحياة ، ومن يلقى نظرة على الأخلاق العامة مع بداية الحركة الإصلاحية يصاب بالتعر ، فقد كان هناك انحراف عام شمل البنين والبنات لهو وعبث في الأزقة وتعاطي الخمور وهو وضع

[1]-محمد العيد آل خليفة،الديوان،ص179.

[2]-المرجع نفسه،ص179.

يندى له الجبين ، مجد ضائع ليس هناك قدرة على حفظه وقد أذل على هذا محمد العيد في أبيات ألقاها سنة 1933 في قصيدة بعنوان تحية الشبيبة فيقول فيها:

«يا لمجد مضيع غير مجد عض كف عليه أو قرع سن

قف مع بالجزائر اليوم واسبر غور أحداثها بعين وأذن

تجد الطفل في الأزقة يلهو والفتى يشرب الخمور ويزني

تجد الطفلة اليتيمة تشقى تحت خذر تنوء أو تحت خدن »[1]

وهذه صور للأوضاع التي دفعت الشاعر إلى أن يقف اتجاهها وقفة المسؤول نحو وطنه وشعبه ، لا يكتفي بمجرد نقل الصور السوداء عن الوضع ، و إنما يعمل على إصلاحها ،وذلك بذكر كل آفة اجتماعية و ما ينجر عنها ،وكل سلوك وما يترتب عنه ، ثم الترغيب في الفضائل والتنفير من الرذائل

وكان الانحراف الخلقي بجميع أشكاله هو السبب في تعثر خطى الإصلاح فلا تقدم بدون مقاومته ، واقتلاع جذوره .

وفي قصيدة أخرى له بعنوان ويح الشباب وصف لتعصب بعض الشباب واستخفافهم بالقيم ونبذ التقاليد فيقول :

«جار الشباب على القيم ورمى الشرائع بالتهم

وأبى النصيحة تابعا لهواه يخبط في الظلم

ويح الشباب من الهوى إن الهوى فيه احتكم »[2]

12-الخمر :

تعد الخمرة من بين الآفات الاجتماعية التي عمد محمد العيد إلى معالجتها واصفا إياها بأنها رجس أو أرجاس وكذا بأنها صاعقة تنزل على رأس الشخص أو بلاء تحل به فهي تخرب على المرء حياته وتجعله يعيش أسيرا لها إضافة إلى أنه

[1]-محمد العيد آل خليفة،الديوان،ص253.

[2]محمد العيد آل خليفة،الديوان،ص518.

اعتبرها لص يأخذ مال المرء . وفي النهاية قام بإعطاء نصائح أو إرشاد لشارب الخمر طالبا منه الابتعاد عن رفقتها لكي يضمن العيش السعيد ويسلم من ألسنة الناس وفي هذا الصدد يقول في قصيدة تحمل عنوان (الخمر) ما يلي:

«الخمر شربة رجس أم أرجاس الخمر صاعقة تهوي على الرأس

الخمر فأس خراب هدمت أسرا مصونة عاث فيها صاحب الكاس

ياشارب الخمر ما ترجوه من دون للعرض، غول عقول ،لص أكياس

فحطم الكأس واهجر كل رفقتها تعش سعيدا وتأمن ألسن الناس»[1]

[1]–محمد العيد آل خليفة،الديوان،ص281.

الخاتمة:

لقد درسنا في هذا البحث موضوع القضايا الاجتماعية في ديوان محمد العيد آل خليفة،و اخترناه كنموذج من أجل دراسته و قد لمسنا فيه حقيقة ثابتة لابد من إبرازها و هي أي تلك القضايا و المشكلات التي عالجها هذا الإنتاج الأدبي في مرحلة الاستعمارية ما تزال متجددة في الأدب الجزائري الذي تلا مرحلة الأساس هذه،مما يوحي بأن المقومات الفكرية للشخصية الثقافية الجزائرية ظلت مؤسسة على القيم التالية:حب الوطن و الإخلاص له و الاعتزاز بالانتماء إلى العروبة هوية و الإسلام عقيدة.و أنه لولا هذه الثوابت من المقومات و لولا أولئك الرجال الأفذاذ الذين نذروا أقلامهم و كرسوا حياتهم للذود عن الشخصية الجزائرية وانتماءاتها العربية الإسلامية و نذكر على سبيل المثال و ليس الحصر محمد العيد آل خليفة.

لما أمكن لهذا الجيل الأدبي الجديد أن يقفز قفزته الحالية ليكون في مستوى ما يكتبه أدباء الأقطار العربية الأخرى الذين لم يعانوا نفس المحنة،و بالتالي توصلنا في بحثنا هذا إلى جملة من النتائج مفادها كالآتي:

- أن الشعر الاجتماعي يهتم بقضايا المجتمع بنوع من التفصيل مع إبراز الداء ووصف الدواء.
- يكمن الدافع الأساسي في ظهور هذا النوع من الشعر إلى تردي الأوضاع في الحقبة الاستعمارية جراء ما قامت به فرنسا من جرائم .
- أن هذا النوع من الشعر لم يكن منحصرا في العصر الحديث فحسب بل شمل عصورا أدبية سابقة،وأصبح الشعب الجزائري مذهولا حائرا مضطربا لا يدري ماذا يفعل إلا أن بعث الله رجلا مصلحا استطاع أن يخرج الأمة العربية و الجزائرية من محنتها بفضل آرائه الإصلاحية.ألا وهو محمد العيد آل

خليفة،الذي أراد من خلال تلك الأفكار أن يدافع عن تلك القضايا الاجتماعية و التي على رأسها:الدين،العروبة،الفقر،المرأة...

- بروز شعراء جزائريين نادوا بضرورة التمسك بالوطن و الدين و العروبة.
- تأكيد محمد العيد على وجوب التشبث بهذه القضايا،باعتبارها مقومات تحفظ للجزائر شخصياتها.

و في الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا و لو بجزء ضئيل في إعطاء صورة واضحة عن الشعر الاجتماعي عامة و عند محمد العيد خاصة،والذي لا يزال غامضا في بعض جوانبه على الرغم من شهرته لدى الدارسين.

ولله الحمد من قبل ومن بعد فهو ولي التوفيق و الهادي إلى سراء السبيل و الذي بنعمته تتم الصالحات.

فمن كانت بدايته محرقة كانت بدايته مشرقة.

المصادر و المراجع:

القرآن الكريم برواية ورش.

I-المصادر:

1. محمد العيد آل خليفة:الديوان،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1992.

2. ديوان أبو القاسم الشابي:قدم له شرحه:أحمد حسن سبح،دار الكتب العلمية،منشورات محمد علي بيضون،بيروت لبنان،ط2005،4.

3. ديوان حافظ ابراهيم،دار صادر ج1،بيروت،ط1989،1.

4. ديوان أحمد شوقي،دار صادر.ج01،بيروت.

5. ديوان الشهيد،الربيع بوشامة،جمع و تقديم:جمال قنان،دار هرمة للطباعة و النشر،الجزائرن2010.

6. ديوان أبو القاسم سعد الله:الزمن الأخضر،عالم المعرفة للنشر و التوزيع،ط3،باب الزوار-الجزائر،2010.

7. محمد الهادي السنوسي الزاهري :شعراء الجزائر في العصر الحاضر،د عبد الله حمادى،ج1،دار بهاء الدين للنشر و التوزيع،قسنطينة-الجزائر،2007،ط2.

II-المراجع:

1 -د.غازي طليمات عرفان الأشقر:الأدب الجاهلي:قضاياه أغراضه أعلامه،فنونه، دار الفكر المعاصر،ط1، بيروت-لبنان.

2 - د.محمد سعيد فرح و مصطفى خلف عبد الجواد:علم اجتماع الأدب،دار المسيرة للنشر و التوزيع،ط1،عمان،151.

3 -عمار بن زايد:النقد الأدبي الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب،1990.

4 -عبد العزيز عتيق:في النقد الأدبي،دار النهضة العربية،لبنان-بيروت،ط1،ص35.

5 - عمر عروة،الشعر العباسي و أبرز اتجاهاته و أعلامه: : ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر.

6 –عبد الفتاح محمد حسين الدراويش:جواهر الشعر العربي،الأهلية للنشر و التوزيع،ط3.

7 –عفيف عبد الرحمان:الشعرالجاهلي،دار جرير للنشر و التوزيع،ط2007.

8 –محمد مهداوي: شعر الغوات أيام الرسول صلى الله عليه و سلم،أغراضه و خصائصه الفنية،ديوان المطبوعات الجامعية،الساحة المركزية ،بن عكنون– الجزائرن2009.

9 –د.محمد مصطفى هدارة:الشعرفي صدر الإسلام و العصر الأموي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر،بيروت،1990.

10 –عبد الفتاح نافع:الشعر العباسي قضايا و ظواهر،دار جرير للنشر،ط2008،1.

11 – محمد صبحي أبو حسني:صورة المرأة في الأدب الأندلسي–في عصر الطوائف و المرابطين–،عالم الكتب الحديث،ط2.

12 – أحمد شرفي الرفاعي :الشعر الوطني الجزائري،دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع،الجزائر،2009.

13 – د.عزالديناسماعيل:الشعر العربي المعاصر،قضاياه و ظواهره الفنية والمعنوية دار العودة و دار الثقافة،ط1،بيروت،1981.

14 – د.كمالعجالي:الفكر الإصلاحي في الجزائر،صدر هذا الكتاب عن وزارة

15 -الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية،2007.

16 صالح خرفي:شعر المقاومة الجزائرية،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،سلسلة الدراسات الكبرى، الجزائر،مطابع الشروق،بيروت.

17 محمد صالح الجابري:الأدب الجزائري المعاصر،دار الجيل،ط1،بيروت– لبنان2005.

18 د،عبد جاسم الساعدي:الشعر الوطني الجزائري بين حركة الإصلاح و الثورة– دراسة–، منشورات التبيين الجاحظية،بدعم من وزارة الثقافة و الاتصال،سلسلة الدراسة الجزائر،2002.

19 – د.عمر بن قينة،في الأدب الجزائري الحديث،تاريخا وأنواعا و قضايا و أعلاما،ديوان المطبوعات الجزائرية، بن عكنون–الجزائر.

20 د.الشريف مريبعي:شعر عبد الكريم العقون،صدر عن وزارة الثقافة ،عام2007.

21 أ.الحميد غنام:محمد الهادي السنوسي الزاهري،حياته و شعره،مطابع دار النعمان للطباعة و النشر و التوزيع،الجزائر،2007.

22 د.عبد الله الركيبي:الشاعر جلواح من التمرد إلى الانتحار،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1986.

23 محمد الحسن فضلاء:الشذرات في مواقف الإمام عبد الحميد بن باديس،دار هومة،الجزائر،2010.

24 د.عمر بوقرورة:الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث،1945–1962.

25 محمد الطمار،تاريخ الأدب الجزائري،سحب الطباعة الشعبية للجيش،الجزائر،2007.

26 د.الربيعي بن سلامة،عمار ويس:موسوعة الشعر الجزائري،دار الهدى للنشر،قسنطينة،2002،ط1.

27 د.محمد ناصر:الشعر الجزائري الحديث(اتجاهاته و خصائصه الفنية 1925–1975)،1985،ط1.

28 د.صالح خرفي :محمد العيد آل خليفة،سحب الطباعة الشعبية للجيش،الجزائر،2007.

29 د.حسن فتح الباب،محمد العيد آل خليفة شاعر الجزائر،الدار المصرية اللبنانية،2002،ط1.

30 أبو القاسم سعد الله :الحركة الوطنية الجزائرية،ج2،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،1981،ط3.

31 وزارة الشؤون الدينية :آثار عبد الحميد ابن باديس،ج3،دار البعث قسنطينة،1984،ط3.

32 محمد ابن سمينة :شخصيات لها تاريخ:محمد العيد آل خليفة،المؤسسة الوطنية للكتاب،زيروت يوسف،الجزائر.

33 محمد ابن سمينة:محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته،ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون- الجزائر،1992.

34 أبو القاسم سعد الله:محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث،دار المعارف،مصر،1919،ط2.

35 دوغان أحمد:شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1989.

III- المجلات:

1 محمد مختار اسكندر:البصائر،سلسلة4،سنة6،العدد262،(14-21نوفمبر2005).

2 جريدة الشريعة النبوية المحمدية،دار الغرب الإسلامي،بيروت،عدد6.

IV-المذكرات:

1 بن زروق نصرالدين :الأسلوب في شعر محمد العيد آل خليفة،رسالة ماجستير،غير منشورة،الجزائر،1995-1996.

2 حرة زياط–تومية زروالة–صديقي ناصرية:الحس الإصلاحي في شعر محمد العيد آل خليفة،تحت إشراف الأستاذ وذناني بو داود،دفعة2000.

3 ابراهيم لقان،ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة–دراسة فنية–،تحت إشراف،د.يحي الشيخ صالح،دفعة2006–2007.

فهرس الموضوعات

القضايا الاجتماعية في ديوان محمد العيد آل خليفة:

المقدّمة.....ص أ–د

المدخل.....ص 01

الفصل الأوّل : **الشعر الاجتماعي و خصائصه.**

1–تعريف الشعر الاجتماعي.....ص 10

2–قضايا الشعر الاجتماعي.....ص 12

3–خصائص الشعر الاجتماعي.....ص 33

الفصل الثّاني : **الشعر الاجتماعي في الأدب الجزائري.**

1–دواعي ظهوره.....ص 37

2–أهم قضايا المجتمع في الشعر الجزائري.....ص 42

3–أشهر شعرائه.....ص 51

الفصل الثالث:**القضايا الاجتماعية في ديوان محمد العيد آل خليفة.**

1–التعريف بالشاعر و بيئته.....ص 55

2–القضايا الاجتماعية في ديوان محمد العيد.....ص 66

الخاتمة.....

قائمة المصادر و المراجع